شعر الحسين بن رواحة
جمع ودراسة وتحقيق

د. زايد خالد المقابلة*

ملخص

يـدرس هذا البحث أحد أعلام الشعر العربي في القرن السادس الهجري وهو ابن رواحة الحموي، ويقع البحث في ثلاثة أقسام:

الأوّل: التعريف بالشاعر ونسبه وأخباره .

الثانـي: دراسـة شـعره من الناحيتين الموضوعيّة والفنيّة، وتبيّن أنّه كان للشاعر دور واضح في الحياة الثقافية في عصره، وأنّ جل أشعاره دارت حـول الغـزل بالغلمان، ثم المدح والرثاء والهجاء، وأنه مال إلى الأساليب السهلة، والتراكيب الواضحة، والصور القريبة .

الثالث : قمت فيه بتحقيق شعره وفقا للأصول العلمية المتّبعة .

Abstract

This research studies Al-Hussian Ibn Rwhuh Al-Hmawy, one of the Arab poets in the six century Hijrai.

The study consists of three parts, the first part deals with Ibn Rwhuh biography. In the Second part emphasizes on his thematic and rhetorical devices. This study reveals his significant role in the cultural life in that era. The third part I gathered his poems from deferent sources and dealt with it in a scientific way.

* قسم اللغة العربية- جامعة مؤتة- المملكة الأردنية الهاشمية.

اسمه ونسبه وأخباره

هــو الحســين بن عبدالله بن إبراهيم بن الحسين بن عبدالله بن رواحه بــن عبــيد بن محمد بن عبدالله بن رواحة جمال الدِّين، أبو علي الأنصاري الحمــوي، الأديــب الفقــيه الشافعي الشاعر المجيد، ولد بحماة سنة خمس عشرة وخمسمائة للهجرة ونشأ بها. وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة للهــجــرة ورحل إلى دمشق فأقام بها مدة واشتغل بالفقه، وسمع بدمشق مــن أبــي المظفــر الفلكي (ت . ٥٦ هــ)، وأبي الحــسن على بن سليمان المــرادي القرطبي الشقوري (ت . ٥٤٤ هــ)، والصائن هبة الله بن عساكر (ت ٥٦٣ هــ)، والحافظ أبي القاسم بن عساكر، ومن عمه وآخرين[١].

.... وســمع بالاســكندرية من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني، وحــدَّث بمصــر وغيرها، وقال الشعر الجيد، وختم له بالشهادة مع ما كان علــيه مــن الخير، وروى عنه الفقيه أبو الحسن علي بن اسماعيل الكندي بمصــر وأبو محمد بن المفضل بن الحسن البهراني بطشانية، قرية من عمل منبج[٢].

.... ويــبدو أنّ الشاعر قد شارك فى قتال الفرنجة، فقد وقع في أسر الفرنج وبقــي عــندهم مدة، ثم خلصه الله تعالى، وولد له بجزائر البحر : عز الدين عــبدالله، وقــدم به إلى الإسكندرية وأسمعه الكثير من السّلفي، ثم عاد إلى دمشــق، فشــهد واقعة مرج عكا، فقتل فيها شهيدا يوم الأربعاء من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة.[٣]

..... أما عن كيفية أسره فيروى أنه لما أراد الرجوع إلى الشام ركب البحر إلــيه، فقطع فرنج صقلية الطريق عليه، وحملوه إليها أسيراً وأقام هناك في الأسر كثيراً، حتى توصل بسحر الشعراء إلى حل عقدته ونشط عقلته، وعاد إلــى حمــاه في حمى من السلامة منيع، وذرى من الكرامة مريع، وجعل له نور الدين من إنعامه إدراراً يكفيه، وكان يقبله ويقبل عليه ويروي فيه.[٤]

....ونقل صاحب الروضتين أنّ السلطان قد أنعم عليه في حلب بمزرعة وكتبت توقيعه وأراد الله تعويقه إذ قرب إلى الآخرة طريقة، وحملت توقيعه إلى السلطان تلك الليلة ليعلم فيه فما علم، وراجعته في معناه فسكت وما تكلم، وكان ساعة الوقعة راكبا معنا ثم قال: وقوفنا يطول. فمضى إلى

خيمته يتودَّع فلما علم باندفاعنا ساق وراءنا فقطع عمره قبل أن يقطع الوادي، وكان قال لنا لما أصبح: رأيت كأن رجلا يحلق في رأسي في المنام. فقلنا له هذا من أضغاث الأحلام. فنقله الله بعد ساعة إلى دار السلام.[٥]

...أما عن كيفية مقتله فقد كان يوم المصاف الأعظم يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث انهزمت فيه ميسرة الإسلام أولا ثم رجعت بأطلاب أعانتها من قلب العسكر والميمنة . فحمل العدو على المكان الذي خرجت منه الأطلاب. فانهزمت الديار بكرية ومن كان إلى جانبها هزيمة عظيمة وتبعهم العدو. ومن المنهزمين من لم ينته إلا إلى دمشق. ووقع النهب في خيام المسلمين من الغلمان. فإنهم أيقنوا بالكسرة . وفي هذا اليوم استشهد ابن رواحة الشاعر[٦]

...وقد نعته ابن الأثير بالشيخ جمال الدين، فعندما ذكر الذين قتلوا من المسلمين عند خيمة صلاح الدين . قال : منهم شيخنا . جمال الدين أبو علي بن رواحة الحموي . فهو من أهل العلم، وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد، فإن جدّه عبدالله بن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتله الروم يوم مؤته، وهذا قتله الفرنج يوم عكا، وقتلوا غيره[٧]

..... وقد ذكر أنّه من ولد عبدالله بن رواحة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وشاعره الذي يقول:[٨]

وفينا رسول الله يتلو كتابه وقد لاح مفتوق من الصبح طالع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

.... وقيل: إنه ليس من أولاد ابن رواحة الصحابي، ذاك لم يعقب، وإنمّا في أجداده من اسمه رواحة والله اعلم[٩]

شعره وشاعريته:

..... لقد نال شعر الحُسين بن عبدالله بن رواحة تقدير الأدباء، وعبر بعضهم عن إعجابه به، فهو اديب فقيه، شاعر مجيد[١٠]

..... وقد حدث بمصر وغيرها، وقال الشعر الجيد.[١١]

.....وقال فيه العماد الكاتب : وشعر ابن رواحه روح الشعر وروح السر وريحان أهل الأدب وراحة ذي النغب، معنى لائق، ولفظ رائق ،وروي شائق،

وكلام فائق، وأسلوب موافق، سمح الغريزة، سهل النحيزه، مغسول الكلم، مغسول الحكم، لا يركب إلا الذلول، الذي يسلب العقول، وإن أقصد بلغ المقصد، وأن اقطع أحسن المطلع والمقطع، وإن نسب أهب نسم النسيب، متارح الربى، وإن تغزل شبه بالغزالة والغزال الحبيب.(١٢)

.....وروي عن أبي الفتح عبدالسلام بن ثقيف الدمشقي، أنه التقى ابن رواحة بحماة ، فرأى بحرا يقذف من ألفاظه جواهر تروق الأسماع وتشوق الطباع، إن نثر جاء بدر السحاب (القلادة) أو نظم جاء بدر السحاب، خلائق صافية النطاف، وشمائل مائسة الأعطاف(١٣)

وقد رآه العماد أثناء صحبته – العماد – لنور الدين، يتردّد عليه ويمدحه، قال : رأيته في سني صحبتي لنور الدين يتردد إليه في كل سنة ويمدحه، وهو بتشريفه وبجائزته يمنحه، وكان ينشده قصائد فيما يتفق من الوقائع، وينشد لديه مقاصد بما يتسق له في تلك الصنائع وسافر إلى مصر في زمان الصالح ابن رزيك، فنفقت بضائع رجائه في سوق الرواج، وظفر داء أمله عنده من وراء النجح بالعلاج.(١٤)

... ووصفه ابن شامة بأنه " كان غزير الفضل، قد أكمل الشجاعة والرجاحة، وهو شاعر مفلّق، وفقيه محقق، من ولد عبدالله ابن رواحة الصحابي الأنصاري في الشهادة والشعر معرق، فطرفه الأعلى يوم مؤته مع جعفر الطيار، وطرفه الأقرب يوم عكا في لقاء الكفار.(١٥)

ويستنتج من هذا الثناء أن ثمة سمات في شعر الحسين بن عبدالله أعجبت الأدباء السابقين، ومن هذه السمات التي ميزوها : فصاحة شعره، وقوة ألفاظه وتراكيبه، وحسن التصرف في المعاني، والقدرة على قرض القصائد الطويلة، والمقطعات القصيرة، والحق ان هذه السمات وغيرها تتمثل في شعر الحسين بن عبدالله، فقد تمكن الشاعر من أدواته الفنية، فاهتم بتخير الألفاظ وانتخاب الكلمات، واستثمر خصائصها وما توحي به من ارتباطات وقرائن . وجاء شعره وثيقة تاريخيه سجلت أحداث عصره .

الأغراض الشعرية:

....يدور جل ما وصل إلينا من شعر ابن رواحة الحموي حول الغزل بالغلمان، ثم تلاه المدح وقد حل بالدرجة الثانية، والرثاء وقد حل بالدرجة الثالثة، كما أن هناك بعض الأغراض الشعرية الأخرى المتناثرة في شعره من مثل الهجاء والألغاز والشكوى والعتاب وغير ذلك .

....إن عادة التغزل بالغلمان ليست معروفة عند العرب في العصرين الجاهلي والأموي، فصبيتهم رجال على صغر أعمارهم وإنما هذه الرذيلة عادة فارسية ،حتى أصبح في المعتاد أن يعرف شعراء بغلمان يتعشقونهم كما عرف شعراء بعشيقاتهم في النساء أو الجواري .

....وكان للغزل نصيب موفور في عصر ابن راوحة، وقد تنوع الغزل في عصره، بين غزل راض سعيد، وآخر ثائر ساخط، وغيرهما عاتب، أو مسترض، أوشاك، أو واصف، أو ناقم ، وهو في جميع مناحيه، لا يقل في جملته عن أسلوب الغزل في أرخى عصور العربية شأوا.(١٦)

.... لقد تعرض المجتمع العربي الذي عاش فيه الشعر العربي لتغيرات حضارية كبرى، فكان من الطبيعي أن يتغير هذا الشعر أيضاً، وقد أدى اتساع الثراء واختلاط الأجناس، وكثرة الجواري إلى التحلل من كثير من الفرائض الدينية والقيم الخلقية تحللا لم يصد شيء، فاستشرى بين فئات المجتمع جمعيها، وطغى على كل ما كنا نرى من أعراف العرب، فأقبل المجتمع الجديد في نهم على ألوان المجون واحداً بعد واحد، فعب من الشراب دون تحرج أو تستر، ومهدت سبل الاتصال بين الرجال والنساء، فقد جعل النخاسون من دورهم ملاهي عامة يلتقي فيها الرجال بالإماء فينالون منهن كل ما أرادوا، وكانت الصلات الشاذة بين الرجال و الغلمان، في علانية لا تجد إنكارا إلا من رجال الدين والأخلاق السوية.(١٧)

... وقد كثر الغزل بالمذكر في الشعر في هذه الفترة بصورة تسترعي النظر، حتى إن بعض العلماء لم يسلم من ذلك، ويبدو أنه كان لانتشار الغلمان الأتراك أثر كبير في شيوع هذا النمط في الشعر، فقد كانوا يسيرون في الشوارع أفواجا، وقد لوحظ أن أكثر الذين تغزل بهم كانوا من الأتراك .

.... وأغلب الظن أن القسم الأكبر من هذا الغزل لم يكن ليعبر عن حقائق واقعة، وإنما هو مجرد لهو ودعابة، وممّا يقوي هذا الظن أن قسماً من الشعراء كان يقول تلك الأشعار عند رؤيته غلاما مصادفة، فيعجبه جماله، أو مهارته في عمله، فيقول الشعر فيه ارتجالاً ، للتندر والفكاهة .

.... ولم يقتصر الشعراء على التغزل بالفتيات، بل تعدوهن إلى التغزل بالغلمان، إذ ابتعد الناس عن الدين فانحرفت أخلاقهم وساءت سريرتهم وضاعت مروءتهم، كما أن الحرب طالت في هذه البلاد مما أدى إلى إقلاع الرجال عن الزواج لسبب أو لآخر، وكثرة وجود الغلمان الأعاجم الذين امتازوا بالجمال وكذلك كثر اللاجئون إلى التكايا والخوانق تحت اسم التصوّف كسلا وكذبا، كل ذلك أدى إلى شيوع فاحشة اللواط وبالتالي التغزل بالغلمان.(١٨)

وشيوع التغزل بالغلمان جعل بعض الفضلاء يتغزل بهم تقليداً أو عرضاً لقدرته الشّعرية .

..... وربما كان تغزل ابن رواحة تغزلا وهميا لا ينطلق من دافع ولا يعبر عن حقيقة، إنما أراد صاحبه أن يثبت قدرته في التغزل فحسب .

فالغلام المتغزل به عند ابن رواحة يهجر من يحبه من الأحياء، ويرق لمحبيه من الأموات، وهذا دليل على أنه من حور عدن، حيث لا يكون اللقاء بهن إلا في الجنة يقول:(١٩)

يرق لمن يموت به شهيدا ... ويهجر دائما أهل البقاء
لتعلم أنه من حور عدن ... منان وصاله بعد الفناء

ويبدو أنّ ابن رواحة متعلق بهذا الغلام لا يسلوه، مخلص في محبته له مهما جار عليه واستعدى، ولو أنه أبدى ضد ما أخفى وقد قرن الإقلاع عن حبه لهذا الغلام، بالارتداد عن الإسلام وفي هذا إسفاف كثير، يقول:(٢٠)

حبيب جار واستعدى ... على عاشقه عمدا
وأبدى ضد ما أخفى ... وأخفى ضد ما أبدى
أما والله لا أسلو ... ولو أوسعني بعدا
وهل يرضى أخو الإسلام ... أن يصبح مرتدا

وحبيب الشاعر كالهلال والبانة والكثيب والجؤذر، يقول:[٢١]

ياهلالا وبانة وكثيبا وجؤذرا

وقد يكون الحب من طرف الشاعر فحسب، فيبكي ويستعطف الحبيب، يقول[٢٢]

إنما السقم نَمَّ عنه ودمعي به جـــرى.

أنت فرّقت بين أجـ فان عيـــنَّي والكرى.

وقد يصرح الشاعر برغبته في تقبيل الحبيب قبل فوات الأوان، يقول:[٢٣]

دع نودع خديك لثـ ـما وإن شئت منظرا

قبل أن يكـمل العذا ر عـــليه فما يُرى

والشـاعر يـتحرق ويـتألم، متى سيأتي الوقت الملائم ليقبل غلامه الجميل، الذي جعل فمه كالدُّر والياقوت يقول[٢٤]:

ومتى يباح لعاشقيه مقبّلٌ كالدُّرِّ في الياقوت تحت زبرجد

... والحبيـب يماطل الشاعر ولا يصله، فمواعيده سراب، حتى أنه لم يعد يـراه في المنام، والشاعر يشكو ويتألم ويبكى دون اهتمام من الحبيب الذي أغلق كل أبواب الوصل.[٢٥]

يا ماطلا ل ا يرى غلـيلي لديه وردا سوى سراب .

تعلَّم الطيف منك هجري فـلا أراه بـلا اجتناب .

كم كتب الدَّمع فوق خدي إليك أشكو بلا جـواب.

.... وفـي قصـيدة أخرى يطلب الشاعر من غلامه أن يعودُهُ أو يَعِدُه، فالشـاعر علـيل بسببه، والغلام متمنع عليه لم يصله منذ شهور، فهجران اليوم الواحد على المحبين كثير، يقول:[٢٦]

عِدنـي وإلّا فعـدني إن صحَّ جسـمي تزور

تاريخ وصلك عنـدي مذ لم أنلـه شـهور

وإن هـجران يـوم عـلى المـحب كـثير

.... ويـبدو أن الشاعر مولع بغلامه، لا يجد طريقاً للصبر، وحب الغلام يزداد يوماً بعد يوم، فآخره كأوّله، يقول:[٢٧]

مالي عن السُّلوان عنك مـعوّل فإلام يتعب في هواك العذّلُ

يزداد حبـك كل يـوم جـدة وكأنّ آخـره بقلـبي أوّلُ

..... ويظهر أن الحب من طرف واحد، فالشاعر مقبل على الغلام، ووجه الغلام معرض خشية الرُقباء، يقول:(٢٨)

مالي أعاين وجه ودّك معرضا حذر الرقيب ووجه ودّي مقبل

ويشعرنا الشاعر بانقياده إلى الحبيب، يقول:(٢٩)

إن كان يحلو لديك ظلمي فزد من الهجر في عذابي

عسى يطيل الوقوف بيـــ ـني وبينك في الحساب

والشاعر يحب كل غلام جميل فهو يحب صبياً قارئاً للقرآن، ويحب أن يصله، وهو يعلم أن القرآن الكريم ينهاه عن ذلك، ويتخيل الشاعر أن لو سمع من هذا الصبي غناء الغواني ، فهو لن يصبر حتى يقبل ثغره العذب، يقول:(٣٠)

تلا فدعا قلبي إلى حبّ وصله وعهدي بما يتلوه ينهى عن الحُبِّ

فكيف اصطباري عنه لو كان مُسمعي غناء الغواني من مقبّله العذب

وكذلك فقد مرّ به صبي جميل الوجه فغمّض عينيه حتّى مضى، وكان معَهُ القاضي الفاضل، فقال له القاضي الفاضل، لم فعلت ذلك، فقال:(٣١)

إذا بدا ينغض طرفي له لخوفه من آفة الآفاتِ

كأنما تقرأ أبصارُنا من وجهه آيات سجداتِ

فجعل القاضي الفاضل يكرر قوله: آيات سجدات، إعجاباً بها. فأي تعلق هذا من جانب الشاعر بجمال الغلمان، وأي ولع به، إنّه يشعرنا بسجوده للغلام الجميل كسجوده عندما يقرأ آية السجدة في القرآن الكريم.

ورائحة غلام الشاعر أذكى من الورد، يقول: (٣٢)

أقول للورد ونشر الذي أهداه لي أذكى من الورد

... والغلام قمر منير، وغضن ليِّن متأود، أما شاربه فمخضر اخضرار الروض حول المورد، يقول : (٣٣)

قمر أعار الصبح حسن تبسم وأعار منه الغصن لين تأود

واخضر شاربه فبان، لغلتي منه اخضرار الرّوض حول المورد

والحبيب نار وجنّه، خداه جمر غضا، وريقه سلسبيل، وقدّه ليِّن كأغصان الثّقا، وقوامه رشيق يرشق القلوب بنظراته التي تفوق السهام بتأثيرها(٣٤)

أصبحت نـارا للمـحب وجنّة ... خدّاك جمر غضا وريقك سلسلُ
لك لين أغصان النقا لو لنت لي ... ولك اعتدال قوامها لو تعـدلُ
يا رامقا هدف القلوب بأسـهم ... خلِّ السّهام فسحر طرفك أقـتلُ

وهـو أيضا قمرٌ يفوق القمرين، صدّ عن الشاعر وجفاه، بعد أن اقترب منه، ويصور الشاعر مدى حبه للغلام، فقد وصل إلى الذروة، ويتمنى لو أن حبّه لهذا الغلام كان في بدايته، يقول: (٣٥)

صدّني بعد اقتراب وجفانـي ... قمر يخجلُ منه القمران
ظمأي فيه ظـمأ آخـرةٌ ... ليـتني أولّه ما عـرّاني

.... وعلـى عـادة الشـعراء العرب القدامى الذين يذكرون الوشاة الذين يدخلـون بين المحب ومحبوبته، فإن الشاعر يذكر هؤلاء الوشاة الذي سعوا بيـنه وبيـن حبيـبه، ويدعو عليهم بأن يثكلوا أحبتهم، لأنهم قالوا غير ما سمعوا، يقول:(٣٦)

ما للوشـاة سعوا بنا يا ليتهم ... ثكلوا أحبتهم كما قد أثكلوا
جحدوا الذي سمعوا وقالوا غيره ... ولو أنّهم لا يسمعون تقوّلوا.

..... وعلـى طريقة امرئ القيس مع محبوبته، ورغم التهديد والوعيد من قـبل أهـل الحبيب، فالشاعر لا يرعوي من ذلك، وسيظل محبا مخلصا لهذا الغلام، لأنه يشفق عليه أكثر من أهله، يقول:(٣٧)

هب أن أهلك أوعدوا وتهـددوا ... من يرعوي من ذلك أومن يقبلُ
ويلاه منهم يشفقون عليك من ... أجلي، وإشفاقي أشـد وأكملُ

ومـن ناحـية أخـرى يصـف الشاعر لباس الحبيب، فهو أكحل يلبس الكحلـى، وفيه من الحسن ما تتمنى النفس، ويتراءى للشاعر الحزين لباس السـواد بأنّـهُ لباس الحداد، ويتساءل الشاعر عن دلالة هذا اللباس ، فلماذا يلبس الغلام السواد ولا يأسى على الشاعر القتيل، يقول:(٣٨)

برزت للناس في قميص ... أكحل من طرفك الكحيل
فيك من الحسن كل فنٍّ ... وفيك للنـفس كل سُول
كيف اتخذت الحداد لبسا ... ولست تأسى على القتيل

وقد يصرّح الشاعر بحبه لغلام اسمه إلياس الذي لم ينل منه شيئا يقول:(٣٩)

أتيت من أهواه عكس اسمه ... فلم أنل منه سوى الاسم .

..... ومحبوب الشاعر أغيد لا تحكي الأسنّة لحظه، ولا يملك الخطي لين قدّه، يقول:(٤٠)

وأغيد لا تحكي الأسنَّة لحظهُ ولا يملك الخطي لينا بقدِّهِ

وبعد المحبوب عن الشاعر يوقعه بالمرض، وصدُّهُ يزيد في تعلق الشاعر به، وصباح الشاعر جميل إذا زاره المحبوب، وبائس إذا لم يزره، يقول:(٤١)

تألقني قرب السّقام لبعده وحالفني وصل الغرام لصدّهِ

صباحي إذا ما زارني فيه مثله وعيشي إذا ما صدّ عني بضدِّهِ

..... ويبدو أن جمال الغلام ليس جمالاً طبيعياً، فقد أطاعته كل القلوب، ولا يلام أحد على حُبّه، فهذا يذكرنا بقصة سيدنا يوسف مع النسوة وامرأة العزيز ، يقول:(٤٢)

لا تلوموا عليه قلب محب فجميع القلوب طوع يديه

ويتابع الشاعر ذكر مظاهر الجمال التي يتميز بها الغلام، فوجهه لا يحتاج إلى عذار لكي يكون جميلاً، ولحظُهُ أراق دما على وجنتيه، دلالة على حمرة الخدين، أما العارضان فهما يشبهان البنفسج، وقد قتل الغلام الشاعر ولم يبق أي شاهد على ذلك، يقول:(٤٣)

لا تظنوا عذاره طرز الخدّ فما كان ذا افتقارا إليه

إنما لحظُهُ أراق دماء وبدا أثرها على وجنتيهِ

فرأى وردها بقتلي تما ما فأولى بنفسجا عارضيهِ

فتيقنت أنّني ضاع ثأري حين لم يبق شاهد لي عليهِ

... ومن يعرف اسم يحيي (بن عطية) يتيقن أنه يحيا، ومن طلب وصال يحيي فلن يحصل عليه حتى موته، يقول:(٤٤)

من نال من يحيي اسم والده أيقنت حقًا أنّه يحيا

ومن ابتلاه بطول هجرته وجفا عليه فليس في الأحيا.

ويعد المدح ثاني الأغراض الشعرية من حيث الكم فيما وصل إلينا من شعر ابن رواحة. وقد سجل الشعراء أحداث الصراع الكبرى، ومجد والانتصارات التي أحرزها المسلمون، وهولوا هزائم الأعداء، وحثوا على

تحرير البلاد الإسلامية، وطرد الصليبيين منها. وقد واكب شعر الشعراء المعارك الهامة التي خاضتها الجيوش الإسلامية.

وقد اتجه الشعراء في كل العصور إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ظهر هذا الاتجاه جليا في عصر الشاعر، بسبب ما لحق بالمسلمين من ضيم وأسى بسبب احتلال الصليبيين أجزاء واسعة من البلاد الإسلامية، فألهبت المشاعر الدينية في النفوس، وعبروا عن هذه المشاعر بأساليب شتى منها المدائح النبوية.

.... وقد وردت للشاعر قصيده وثلاث مقطوعات، مدح بمقطوعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومدح بالمقطوعة الثانية خالد بن القيسراني مستوفي نور الدين، ومقطوعة ثالثة مجتزءه من قصيدة لا نعرف الذي مدحه بها، أما القصيدة فقد مدح بها الملك الناصر، وأما المديح الديني فقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بمقطوعة تتكون من أربعة أبيات، ويبدو أن الشاعر متشوق للوصول إلى يثرب حيث بدأ المقطوعة بحث الراحلة على السرعة، حيث طلب منها أن تبلغ المدى في سرعتها وهي تقطع الصحراء فهي تعرف أن مسيرها على هدى، وهو يحاول أن يستحثها بيديه ليصل إلى يثرب بأقصى سرعة وأقل وقت، وهي لا تحتاج إلى من يجذبها، كما أنها لا تحتاج إلى الحادي، واليوم الذي يصل فيه الشاعر إلى يثرب يوم مبارك لا مثيل له، يقول:(٤٥)

دع العيس في طي الفلا تبلغ المدى ... فقد ألهمت أنَّ المسير على هدى
أنصُّ لها في سيرها بأناملي ... يدا كما نصَّت إلى يثرب يدا
لقد غنيت بالوجد عن جاذب البرا ... كما شغلت بالشوق عن شائق الحِدَا
ولم أرى في الأيام يوماً مباركاً ... على كيوم زرت فيه محمدا

.... فقد تميزت هذه المقطوعة بالعاطفة الدينية الصادقة المحبة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والشاعر يصف مشاعر الشوق وتباريح الحب ولواعج الفؤاد، فشعره صورة من صور حب النبي صلى الله عليه وسلم والتشوق إلى زيارته. فالحنين إلى الديار الحجازية يرتبط بالمديح النبوي ويتفرع مِنْهُ.

والصـــورة العامـــة لمدائـــح ابن رواحة في خالد القيسراني هي نفس الصورة العامة لقصيدة المدح العربية فالممدوح شخص تتمثل فيه طائفة من القـــيم والصـــفات الخلقية فهو المثل الأعلى للكرم والبذل والعون ومساعدة المحـــتاج والشجاعة والعزم وسداد الرأي والتقوى والعدل، إلى غير ذلك من الصـــفات، علـــى شاكلة قوله في مدح خالد القيسراني مستوفي نور الدين، يقول:(٤٦)

دعوتك مشتاقا لنيل صنيـــعة فكنت إلى بذل الصنائع أشوقا
وكم عقد حلّت بعزمك لم تكـــن تحلّ بعزم من ســـواك ولا رُقى
تفاءل نور الدين باسمك مثلما حوى بك نعتا في الأمور محققا
فأصبح في الملك المخلد خـــالدا كما كان في الرأي السعيد موفقا

فهذا يماثل قول زهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنّك تعطيه الذي أنت سائله

والشـــاعر لم يكتف بصفة الكرم التي أسبغها على ممدوحه، بل أضاف إليها صـــفة العلـــم الجـــم، فهو لا يتوانى بكرمه، فعطاؤه على عجل، وعلمه عن تثبت، يقول:(٤٧)

له سائلا علم وجود، يجيب ذا على عجل منه، وذا عن تثبُّتِ
فذا بتوال للمؤالف منـــــطق وذا بمقـــال للمخالف مسكت

ولقـــد حظـــي الملك الناصر بجلّ شعر المديح في هذا العصر، لأنه أحاط الشـــعراء بكثـــير من الكرم والعطاء، فقد استغل الشاعر المناسبات المفرحة لمـــدح الملـــك الناصـــر. فلمـــا كان الملك مخيما بمَرج فاقوس، وقد وصلت أســـاطيل ثغـــري دمياط والإسكندرية بسبي الكفار، حضر ابن رواحة منشداً مهنـــئا بالعـــيد، ومعرضاً بما وهبه الملك الناصر من الإماء والعبيد، بقصيدة منها:(٤٨)

أيحسن بعد ضنّك حسن ظنّي فأجمع بين يأسي والتمنّي
وما نفعي بعطفك بعد فوت كرقة شامت من بعد دفن

فالشـــاعر يأمل بالممدوح أن يحقق مناه بعد يأسه، ويخلص من ذلك إلى ســـؤال الممدوح أن ينظر إليه بعين العطف والرضا، ويُصَرِّح بطلبه للمدوح، فهو يريد عطاء مقدما، وما تنفع رقة الشامت بعد الدفن.

ويتخلل قصيدة المديح الشكوى من الممدوح، فالشاعر يمكن أن يكون شهيد حب، ملك عليه الممدوح أجفانه وقلبه، فأبعد الكرى والعذل عنه، يقول:(٤٩)

أأطمع أن أكون شهيد حبٍّ فأصحب منك حوريا بعدن
ملكت عليَّ أجفاني وقلبي فأبعدت الكرى والعذل عنّي

ويتخلل قصيدة المدح بيان المعاناة التي يعانيها الشاعر جراء الممدوح، مبرزاً العلاقة بينهما، يقول(٥٠)

فكم أرعيت غير اللوم سمعي وكم أوعيت غير النوم جفني
صدمت وما سوى إفراط وجدي لك الداعي إلى فرط التجني
لقد أبديت لي في كل حسن ضروبا أبدعت لي كلّ حزن
فكم فن من البلوى عراني لعشق الوصف منك بكل فنّ

ولقد استعان الشاعر بالطبيعة ليصف الممدوح، يقول:(٥١)

كأنك رمت أن أسلوك حتى أقمت الشبه في بدر وغصن
فألبس وجهك الأقمار حُسْنا وعلم قدَّك الباني التثني

ويلاحظ على هذه المعاني، أن الشعراء يطرقونها أثناء غزلهم بالنساء، ثم يعود الشاعر مرة أخرى للحديث عن معاناته وما حلّ به، ذاكراً سبب هذا التعلق، يقول:(٥٢)

رماني في هواك طماح طرفي إلى حسن فأخلف فيك ظني
فكم دمع حملت عليه عيني وكم ندَم قرعت عليه سني

ويبدو أن الممدوح لم يقابل حب الشاعر ولم يصله، وإنما غدَر به، كما أن الشاعر يصدر حكما على الممدوح بأنه أحق منه بالتعذيب، يقول:(٥٣)

غدرت وما رأيت سوى وفاء فهلاّ قبل يعلق فيك رهني
ولو حكم الهوى فينا بعدل لكنت أحقَّ بالتّعذيب منّي

وقد أدت كثرة الحروب إلى أن يقترن المديح بالحماسة، فالشاعر لم يكتف بالكرم بل أضاف إليه الشجاعة، وقد عرفها الشعر العربي أول ما عرف المديح، فألح عليها الشعراء وفرعوها إلى معان جزئية، كما يلاحظ أن أحداث الصراع بين المسلمين والفرنجة لها حضور واضح في شعر الشاعر، فهو يشيد بشجاعة الممدوح وقوة جيشه، وهي إشادة حماسية لا ترتبط

بحدث معين، ولعل هذا يعود إلى أن ابن رواحة ربما فهم قصيدة المدح على أنها وسيلة للتكسب والعطاء، حيث صرح بذلك في الأبيات الأولى من القصيدة، والشاعر يُحِسُّ بالموت حيث شخصه بصورة إنسان يترصده، يقول:(٥٤)

أقمت الموت لي رصدا فأخشى زيارته وإن يك لم يزرني
كما رصد العدا في كلِّ يوم صلاح الدّين في سهل وحزن
يرون خياله كالطيف يسري فلو هجعوا أتاهم بعد وهن

وهو يشير إلى أنه مالك مصر ومالك الشام والإفرنج بينهما، ويتابع الشاعر ذكر صفات القائد البطل صلاح الدين، وما فعله بالفرنجة، فقد جمع القبائل لترابط على الحدود، وهو حامي للدين والدينا، وهو شجاع كريم، صاحب عزم، ورأي، يقول:(٥٥)

أطاف عليهم في كلِّ فجٍّ قبائل يقلبون بغير وهن
أقام بآل أيوب رباطا رأت منه الفرنج مضيق سجن
فهم للدّين والدُّينا جبال رواس لا ترى أبدا كعهن

ولا تخفى هنا استفادة الشاعر من القرآن الكريم، فهو يذكرنا بالفجّ العميق، وبالجبال الرواسي والعهن، ليعرض ثقافتة الدينية . فالطابع الديني واضح في كثير من أشعار المديح لاشتداد عنفوان العصبية الدينية في هذا العصر، بسب التحديات التي واجهها الإسلام .

ووجدت في المديح أيضا إشارات تاريخية وأدبية ودينية، يقول:(٥٦)

وكم معنى من الإحسان فاقوا به كرما على كعب ومعن
لهم في يوسف الدنيا جميعا وليس له نصيب غير حسن

والصورة العامة لمدائح ابن رواحة هي نفس الصورة العامة لقصيدة المدح العربية، فالممدوح شخص تمثل فيه طائفة من القيم والصفات الخلقية، فهو المثل الأعلى للكرم والشجاعة وسداد الرأي والتقوى والعدل، إلى جانب هذه الصفات المعنوية التي مدح بها الشاعر الممدوح، يذكر الشاعر جانبا من النواحي الحسّية للممدوح فهو كالشمس، يقول:(٥٧)

غدا كالشمس يوم وغى بنقع فشقّ النور منه ملاء دجن

وقد تتضمن قصيدة المدح أيضاً، وصف جماعة أو طائفة من جيش الأعداء، فقد وصف الشاعر الداويّة من الفرنج، وهم لا يرون مقاربه النسّاء لترهُّبهم:(٥٨)

أرى داويّة الكفار خافت ... به داء يُضعّفُ كلّ متن.
أبو نسلا مخافة نسل بنت ... تفارق دينهم أو قتلة ابن.
فقد عقموا به من غير عقم ... كما جبنوا به من غير جبن.
ومن أفناهم عدما حقيق ... بحمد مثلما وجدوا ويغني.

ولا يخفى على القارئ أن تصوير الداوية على هذه الشاكلة، عاد بالفخر والشجاعة على الممدوح. وقد تضمن قصيدة المدح أيضا وصف الأساطيل المنصورة والسبايا المأسورة، يقول:(٥٩)

لقد خبر التجارب منه حزم ... وقلّب دهره ظهر لبطن
فكفّ الكفر أن يطغى بمكر ... يحيّر كلّ ذي فكر وذهن
فساق إلى الفرنج الخيل برا ... وأدركهم على بحر بسفن
لقد جلب الجواري بالجواري ... يمدن بكل قدّ مرجحن
يزيدهم اجتماع الشّمل بؤسا ... فمرنان تنوح على مرنّ
فما من ظبية تفدى بليث ... ولا ليث فدى رشأ أغنّ
زهت إسكندرية يوم سيقوا ... ودمياط فما منيا بغبن

.... ولم تكن بعض أشعاره منبعثة من نفسه، فقد جاءت بعض أشعاره بطلب من الناس أو تلبية لرغباتهم، فقد جاءت إليه امرأة، وكانت قد طلبت منه ذم الهوى ودفعت له فردة سوار، وقالت له : امدح الهوى، فقال:(٦٠)

لاموا عليك وما دروا ... أنّ الهوى سببُ السّعادة
إن كان وصل فالمنى ... أو كان هجرٌ فالشّهادة

..... ومعاني المديح عند ابن رواحة معان تقليدية أولت الفضائل المعنوية جل اهتمامها ،ومعان إسلامية استخدمها من القران الكريم، ومعانٍ خاصة بالممدوح.

أما الرثاء فقد جاء بالمرتبة الثالثة في شعر الشاعر، وله قصيدة واحدة يرثي فيها والد ابن عساكر، فالحزن على الراحلين أمر فطري في

النفس البشرية، والإنسان في بكائه على الميت إنمّا يبكي على مصيره المحتوم .

.... فابن رواحة يبدأ قصيدته بمشاركة أهل المرثي بالأحزان، والتعبير عن الألم واللوعة، فأبّنَ المرثي وعدّد مآثره، وأطنب فيها وأكثر حتى يستطيع أن يصور عظمة الخطب وفداحته، فالمرثي كانت تشدّ إليه الرواحل وقد جعل المرثي كواحد من المساجد الثلاثة التي تشد الرّحال إليها، ودموعه كالسحب الهاطلة مرة وكالنار مرة أخرى، يقول:(٦١)

ذوى السعي في نيل العلى والفضائل مضى من إليه كان شدّ الرواحل
وقولا لساري البرق أنّى يعينه بنار أسى أو دمع سحب هوا طل

والمرثي بدر آفل، وبحر غائر، يقول:(٦٢)

وقل غاب بدر التمّ عن أنجم الدجى وأشرق منهم بعده كلّ آفل
وما كان إلا البحر غار ومن يرد سواحله لم يلف غير الجداول

....ويبدو أن الشاعر حريص على علم المرثي لأهميته، فهو نور الهدى ونور التقى، فهل كتبتم علمه عن رواته من طلابه، يقول :(٦٣)

وهبكم رويتم علمه عن رواته وليس عوالى صحبه بنوازل.
فقد فاتكم نور الهدى بوفاتِهِ ونور التقى منج ونجح الوسائل.

..... وكُلُّ مَن رأى المرثي لابد وأن يبكي عليه، و يظهر أسفه لعدم قدومه لرؤيته قبل موته، يقول:(٦٤)

ليبك عليه من رآه وإن حوى مداه بأيام لديه قلائل
أسفت لإرجائي قدوم أعزّة عليه وتسويفي بعام لقابل

... ويخرج الشاعر من الدائرة الخاصة إلى الدائرة العامة، فمصابهم بالمرثي لا يقتصر على أهله وأصدقائه، بل إنه مصاب للأمة الإسلامية جميعها، يقول:(٦٥)

فيا لمصاب عَمَّ سنة أحمد وباعدها من كل راو وناقل
لقد شمل الإسلام منه رزيّة وكان له بالنصح أفضل شامل
وإنَّ عبوراً صاب دين محمّدٍ بحَقٍّ لأحمى من شجاع مقاتل

..... والمرثي ليس له نظير في الشام، والدين أصبح مهملا، وقد خلت الدنيا ممن يذب عن سنة أحمد، نحا مذهب الشافعي، وأيد قول الأشعري وأبان الحق، وتصدّى للشبهات، وعلمه باق بعده يناضل ويكافح، يقول : (٦٦)

خلا الشام من خير خلت كل بلدة ... له من نظير في الحياة مماثلِ
وأصبح بعد الحافظ الدِّين مهملا ... بلا حافظ يدعو بكاف وناقلِ
خلت سنة المختار من ذبِّ ناصر ... فأقرب ما غشاه بدعة جاهلِ
نحا للإمام الشافعي مقالة ... فأصبح يثني عنه كلّ مجادلِ
وأيد قول الأشعري بسنَّةٍ ... فكانت عليه من أدل الدلائلِ
وكم قد أبان الحقّ في كلِّ محفل ... فأروى بما أروى ظماء المحافلِ
وسد من التجسيم باب ضلالة ... ورد من التشبيه شبهة باطلِ
وإن يك قد أودى فكم من أسنَّةٍ ... مركبة من قوله في عوامل

..... وسيظل الشاعر وفيا للمرثي، يرى الأجر في البكاء عليه، لانَّ البكاء على إمام الدين ليس كبكاء ذهاب الأهل والأقرباء، ويخاطب قلبه بالدعاء للمرثي، ويخاطب عينهُ أن تبكيه بدموع غزيرة، ويخاطب القبر بأن يبلغه التحية، يقول: (٦٧)

أرى الأجر في نوحي عليه ولا أرى ... سوى الإثم في نوح البوا كي الثواكل
وليس الذي يبكي إماما لدينه ... كباك لدنياه ذهاب القبائل
أيا قلب واصله بأعظم رحمة ... ويا عين ابكيه بأغزر وابل
ويا قبر بلّغه أشدّ تحيّة ... مكررة عند الضَّحى والأصائل

ويتابع الشاعر تأبين المرثي و تعداد مآثره، فهو قد اعتنى بحديث المصطفى، وهو من أفضل السالفين، أكمل تاريخا لدمشق، وهو الخطيب المفوّه، ولو بكيناه بدموع كالسُّحب كان قليلا، وقد طوى الموت العلم والزهد بذهابه، وفجع العالمين، والأرض لم تنقص إلا بموته.

..... ويقف الشاعر حائراً أمام القضاء المحتوم، فلا راد للموت، والموت لابد منه، طال عمر الإنسان أو قصر، ويبدو أن الشاعر محتار من العزاء الذي لن يقدمه لأهل أبي القاسم بن عساكر أو لأقربائه، بل يقدمه للمسلمين يقول:(٦٨)

أبا القاسم الأيام قسمة حاكم ... قضى بالفنا فينا قضية عادل

بماذا أعزي المـــسلمين ولا أرى عزاء سوى ما نلت من غير طائل

ثـم ينهـي الشاعر قصيدة الرثاء بالدعاء للميت بقدر ما سينتفع طلاب العلم بعلمه، يقول:(٦٩)

عليك سلام الله ما انتفع الورى بعلمك واستعلى عن المتطاول

..... وفـيما وصـلنا من شعر الشاعر، فقد وردت مقطوعتين في الهجاء، ومقطوعـة فـي الألغاز، ومقطوعة في ذكر الملل، ومقطوعة في الزهد في الشباب والحرص على الملذات في المشيب .

..... والهجـاء من الموضوعات التي كثر فيها القول في هذا العصر، ولكـنه هجاء يختلف طابعه وخصائصه ومادته، عن الهجاء التقليدي القديم فقـد تعـرض الهجـاء للأشـخاص والـبلاد والأشياء الأخرى كالحمامات والمساكن، ولعل اضطراب الحالة الاجتماعية بوصول جماعة من الناس إلى مراتـب الجـاه والسلطان، وحصول آخرين على المال الوفير، وسوء أمور الـناس وفقرهم هو الذي دفع إلى تلك الألوان الهجائية، فترصدهم الشعراء، وعددوا معايبهم.

..... وقـد ظـل قلـيل من الشعراء ينحون منحى تقليديا، فيجردون المهجـو مـن الفضائل والمكارم الخلقية والنفسية، ويلصقون به المساوئ والمثالب.

..... وأكثر الهجاء في هذا العصر كان إلى سبيل التهكم والسخرية، فقد كان الشعراء يعمدون إلى رسم صورة ساخرة للمهجو بقصد إثارة الإضحاك والتندر منه .

وفـيما وصلنا من شعر الشاعر لم نجد إلا مقطوعتين في الهجاء، يهجو الشاعر بواحدة منها فردا من مصر، وفي الأخرى يهجو واعظا بمصر، كان فاسقا.

..... ومـن قولـه في هجو إنسان بمصر، أنّه كان أضحوكة، لا مخبر ولا منظر، يقول:(٧٠)

أحكمت عرسه ضروب الأغاني من ثقيل في رأسه وخفيف

وتمنّت عليـه كُلَّ الملاهـي غيره وحْـدَهُ، لمعنى لطيف

فقضيبا لاسم ونـأيا لشـكل و ربابا للجرِّ و التصّحيف

والواعظ الفاسق المصري ربما يقول ما لا يفعل، كالقوس المعوجّة التي قد تصيب الآجال بسهامها، يقول:(٧١)

إذا سمعت الوعظ من واعظ فأقبل وإن خالف ما قالا.
فالقوس ترمي السهم مُعْوَجَّة وقد يصيب السَّهم آجالا.

.... ومن موضوعات الشعر الألغاز، فقدكان الشعراء يتراسلون بها ويقضون أوقاتهم في عملها وحلّها، وهي تدل على قدرة الشاعر وتمكُّنه، وكانت مجالا ليتبارى فيها الأدباء، ومن شعر ابن رواحة في الألغاز قوله في الجلّنار ملغّزا.(٧٢)

وما تاج رومي لبيضة باسل عليها دم إذ فلّلتها المضاربُ
تناسب أقراط الدّيوك ذيولها كما العرف للتّشريف منها مناسبُ
لها باطن كالزعفران تعلّقت به من شرار أو نضار، كواكبُ
حكتها صغارا بالخدود شبيه ما حكتها كبارا بالنُّهود الكواكبُ
إذا فُرطت فهي العقيق مبدّدا وإن رُشِفت فالشّهد بالثّلج ذائبُ

.....وقوله في إسماعيل بن بكّار ملغّزا، مشبها قوام إسماعيل بالألف ملغزا بالفاحشة، يقول:(٧٣)

أسمر عيل الصبر في حبه ليس له في الحسن من مشبه
إن شئت أن تعرفه باسمه أفرده من رابع حرف به
طوبى لمن بات له ليلة عكس أبيه لهوى قلبه

....وخاض الشعر في العقائد، ورأينا شعراء المذاهب والنحل يتجادلون في عقائدهم ومذاهبهم، ويردّون حجج المعارضين ويدلون بحججهم، واتخذ هؤلاء الشعر منبرا لنشر الآراء حتى تذيع بين الناس ويسهل تناقلها، لسهولة حجة الشعر في العلوق بأذهان العامة، يقول ابن رواحة ذاكرا الرّوافض:(٧٤)

قل للروافض إنكم في سبِّكم أهل الهدى مع حبنا علم الهدى
مثل النَّصارى لا نَسُبُّ لأجلهم عيسى ، وقد سبُّوا النَّبي محمّدا

ومن موضوعات الشعر في هذا العصر أيضا الزهد والمجون، ولكن زهد الشاعر كان أيام الشباب أما في شيخوخته فقد أقبل على الدنيا يغرف من ملذاتها، يقول:(٧٥)

تجلّدت عنها في الشَّباب لعـــزَّةٍ وأبديت بعـد الشَّـيب ذلّه مفـتون
فقلت: أزهدا في شباب، ورغبة بشيب، أنا المشتاق وأنت ابن فضلون

الدراسة الفنية

يقسـم مـا نقـل إليـنا مـن شعر ابن رواحة، إلى قسمين: القصائد، والمقطوعـات، فقـد أوردت لنا كتب التراث ثلاث قصائد إحداها في المدح، والثانية في الرثاء، والثالثة في الغزل بالمذكر.

وقـد جعل الشاعر قصيدة المدح في ثلاثة أقسام: مقدمة وموضوع وخاتمة، من ذلك قصيدته التي أولها.

أيحس بعد ضنّك حسن ظنىّ فأجمع بين يأسي والتّمنّي

وقـد جاءت مقدمة القصيدة تشي بالحزن والشكوى، صاغها الشاعر فى لفظ رائـق وعـبارة سلسـة، وتصـوير جميل، مصورا حاله وما ألم بها ويلمّ، ويخلـص من ذلك إلى المدح من غير تكلف، بحيث لا يشعر القارئ بالانتقال مـن المعـنى الأول إلا وقد دلف إلى المعنى الثاني لقوة الممازجة والالتئام، ومـع أن الشـاعر احسن التخلص من الشكوى إلى المديح، إلا أن القارئ لا يلمـح علاقة واضحة بين مقدمة القصيدة التي تغلفها مشاعر الحزن والأسى وبيـن معاني المدح المشحونة بمعاني الشجاعة والقوة فهل هو التقليد الفني أو أنّـه التضـاد فـي المشاعر ؟ المقدمة تشي بالإخفاق في حياة الشاعر، والمدح يتحدث عن التفوق والتقدم فى دولة الممدوح .

ويسـتطرد الشـاعر فـي مـدح الملك الناصر حتى إذا أراد أن ينهي قصـيدته راح يجمـل ما فصله من صفات المدح مستخدما الألفاظ التي تدل علـى مطلق الصفات الحميدة، مثل المجد، العزم، الشجاعة، البأس، الإحسان (الأبـيات١٥- ٤٥) مـتدرجا بالقـارئ إلـى البيت الأخير الذي صور فيه الإسـكندرية وقد لبست برداً من الفخر تتباهى وتجر الأذيال والاردان مزهوة بهـذا النصـر وكمـا انقسمت قصيدة المدح على ثلاثة أقسام، فإن قصيدة الـرثاء انقسـمت على ثلاثة أقسام أيضا، فقد رثى الشاعر والد ابن عساكر بقصيدة مطلعها:

ذوى السعي فى نيل العلى والفضائل مضى من إليه كان شدُّ الرَّواحل

....وأوّل هـذه الأقسـام المقدمة، وتتضمن المشاركة بالأحزان والتعبير عن الألـم واللوعـة، ثـم العرض وفيه تعداد المآثر، وتذكير أهل الميت بالصبر والسلوان، ثم الخاتمة وفيها ينهي الشاعر قصيدة الرثاء بالدعاء للميت.

ومـن الملاحـظ علـى هذه القصيدة أن ثمة علاقة واضحة بين مقدمة القصـيدة التـي تغلفها مشاعر الحزن والآسى وبين موضوع القصيدة وهو الـرثاء. فقـد جاءت المقدمة ملائمة لموضوع القصيدة حيث بدأها ب "ذوى السـعي" وهـذه الصـيغة تشي بالذبول والتراجع والانكسار الذي يؤدى إلى المـوت، فالمقدمـة تشـي بالإخفـاق واستحضار صيغة الموت، وموضوع القصـيدة هـو رثـاء الإنسـان الميت، ويستطرد الشاعر فى تصوير حالته النفسـية، فقلبه نار ودمعه سحب هواطل. ويستحضر الشاعر أشياء الطبيعة لتشـاركه أحزانه، ثم راح يحمل ما فصله من تعداد مناقب الميت، مستخدما الألفاظ التي تدل على مطلق الصفات الحميدة للمرثى، من مثل (العلم، الكرم، نور الهدى، الزهد، النهى. متدرجا بالقارئ إلى البيت الأخير الذي يدعو فيه للمرثي بالخير.

أما قصيدته الثالثة فموضوعها الغزل بالمذكر، ومطلعها:

من لعيني بالكرى فأرى الطيف إن سرى

والقصـيدة تصـور معاناة الشاعر من المحبوب، وتصوير المحبوب باسـتخدام التشـبيه البليغ، فهو كالهلال مرة والبانه أخرى، وكالكثيب ثالثة وكـالجؤذر رابعة، ثم يستطرد بتصوير معاناته الآبيات من (١ – ٨) وينهي قصيدته بالتصريح للمحبوب بان يطلب منه أنَّ يقبل خدّيه أو ينظر إليهما قبل أن يكمل العذار على وجهه.

وجـلّ شعر ابن رواحة – الذي وصلنا – عبارة عن مقطوعات، وتنقسم على قسمين : قسم منها أجزاء من قصائد وقد أشار الرواة إليها في تقديمهم للقصـائد على شاكلة قولهم : وله من قصيدة، وقسم آخر مقطوعات كاملة، رويت بتمامها، تدل عليها الفكرة التي قيلت فيها.

وصـاغ ابـن رواحة معظم مقطوعاته في الغزل بالمذكر، وتتخذ أحيانا صـورة (الـبطاقة) التي يرسلها إلى المحبوب، وهي على قصرها مصوغة

بأسلوب هادئ لاحدّة فيه ولا توتر، ويتوخى ابن رواحة فى هذه المقطوعات الإيجاز واكتناه العبارة التي يمكن بسطها في رسالة كما في قوله :

يرق لمن يموت به شهيدا ... ويهجـــــر دائما أهل البقاء
لتعلم أنّه من حور عدن ... منـــــــانُ وصاله بعد الفناء

وكقوله:

يا قلب دع عنـــك الهوى قسرا ... ما أنـــــــت منه حامدا أمرا
أضعـــت دنيـــاي بهجـــرانـــه ... إن نلت وصلا ضاعت الأخرى

وكقوله:

إذا بدا ينغضُ طرفي له ... لخوفه من آفة الآفـــات
كأنما تقـــرا أبصارنا ... من وجهة آيات سجدات

وكقوله:

لاموا عليـــك ومـــا دروا ... أنَّ الهوى سبب السَّعادة
إن كـــان وصـــل فالمنى ... أو كان هجر فالشّهادة

..... ولـم تأتِ كل مقطوعات ابن رواحة على هذا النسق، بل نجد فى بعض مقطوعاته الألغاز (انظر رقم ٨ ورقم ٢٧).

وتمـتاز بعض مقطوعاته بالتكثيف واصابة الغرض بأوجز عبارة وأقلّ لفـظ، وقد يمهد الشاعر للمقطوعة فيجمل المعنى بصدر البيت الأول فيأتي عجـز البيـت والأبـيات التالية تفصيلا له. وعلى نمط تركيبي واحد كما فى قوله:

قمر أعار الصُّبح حسن تبسم ... وأعار منه الغصن لين تـــأوّد
واخضر شاربه فبان، لغـلتى ... منه اخضرار الروض حول المورد
ومتى يباح لعاشقيه مـــقبّل ... كالدُّرِّ في الياقوت تحـت زبرجد

لقـد اعتنى ابن رواحة بأسلوب شعره ولغة قصائده وأظهر تأنّقه في اللّفـظ والمعنى وقد حاول الملاءمة بين مضامين قصائده وأساليبه اللغوية، فقـد كـان يصطنع في المدح الألفاظ الجزلة والعبارات القوية، مع الحرص علـى السـهولة والوضوح وكان يميل في الغزل إلى الألفاظ العذبه الرقيقة، وغلب على لغة الرّثاء طابع الهدوء والرزانة. ويلين النسيج اللغوي عند ابن رواحـة حيـث يمـيل إلـى البسـاطة والوضوح واستخدام الألفاظ السهلة،

والتراكيب الواضحة، قريبة المآخذ، والابتعاد عن الألفاظ المتوعرة والمستكرهة، مع الحفاظ على الصياغه الجميلة كما في قوله:

حبيبٌ جار واستعدى ... على عاشقه عمدا
وأبدى ضد ما أخفى ... وأخفى ضد ما أبدى
اما والله لا أسلو ... ولو أوسعنى بعدا
وهل يرضى أخو الإسلام ... أن يصبح مر تدا

وكقوله:

عدنى وإلا فَعدني ... إن صَحَّ جسمي تزورُ
تاريخ وصلك عندي ... مذ لم أنله شهور
وإنَّ هجران يوم ... على المحب كثير

فالصياغة الشِّعريّة في هذه الأبيات بسيطة واضحة، حيث اللغة السهلة، القريبة من لغة الحياة اليومية، وهى تستمد بساطتها من استخدام الألفاظ المألوفة، فقد حاول الشاعر أن يضفي على أبياته مسحة جمالية وذلك بإثراء الموسيقى الداخلية عن طريق تكرار بعض الكلمات، واستخدام طائفة من الألفاظ المتجانسة وكذلك استخدام الطباق، كما تظهر بعض الألفاظ الإسلامية مثل، أخو الإسلام، مرتداً .

وقد ظهرت معرفة الشاعر بالغناء والموسيقى فى هجائه لإنسان بمصر يقول:

أحكمت عرسه ضروب الأغاني ... من ثقيل فى رأسه وخفيف
فقضيبا لاسمء ونايأ لشكل ... ورباب للجرِّ والتَّصحيف

كما انعكست ثقافة الشاعر في العربية على صوره، فاسماعيل بن بكار يماثل الحرف الرابع من اسمه، يقول :

إن شئت أن تعرفه باسمه ... أفرده من رابع حرف به

واستخدم اللغة الانفعالية، أو ما يعرف لدى علماء اللغة المعاصرين بالجملة الإفصاحية وهي التي تعبر عن انفعالات المتكلم ومشاعره وحالاته النفسية، وتتضمن في ذاتها النبرة الانفعالية التي توضح المعنى المراد.(٧٦)

.... وتضم هذه الجملة أنماطا لغوية مختلفة مثل تراكيب التعجب والاستفهام والقسم والندبة والاستغاثة، والأمثلة كثيرة فى شعر ابن

رواحة موضوع الدراسة من مثل: أما والله لا أسلو "و" من لعينى بالكرى "و" فكيف اصطباري عنه "و" ما للوشاه سعوا بنا بأليتهم "و" يا راشقا هدف القلوب بأسهم و "أيا قلب واصله "و" ويا دمع طهر "و" و يا قبر بلّغه".

..... بيد أنّ ابن رواحة لوّن في أساليب الخطاب التي استخدمها في شعره فكان ينتقل في القصيدة أو المقطوعة من أسلوب إلى آخر تبعاً لمقتضيات الأحوال النفسية ومتطلبات السياق كما في قوله

فاعلن به في البعد واستوقف الثرى ... لطلابه من قبل غلي المراجل
ليبك عليه من رآه وإن هوى ... مداه بأيام لديه قلائل
خلا الشام من خير خلت كُلّ بلدة ... له من نظير في الحياة مماثل
أيا قلب واصله بأعظم رحمة ... ويا عين ابكيه باغزر وابل
بماذا أعزي المسلمين ولا أرى ... عزاء سوى ما نلت من غير طائل

.... فقد مزج ابن رواحة في هذه الأبيات بين أساليب مختلفة، الأمر والتقرير والنداء والاستفهام، مما أكسبها تلوينا في الأسلوب، دفع عنها الرّتابة وأضفى عليها قدراً من الحيوية، وعبّر عن تشابك المشاعر والأفكار في نفس قائلها

وقد اقتبس ابن رواحة في شعره بعضاً من الألفاظ الدينية، كما تأثر بالقرآن الكريم، كما في قوله متغزلاً:

يرق لمن يموت به شهيدا ... ويهجر دائما أهل البقاء
لتعلم أنّه من حور عدن ... منان وصاله بعد الفناء

وكقوله متغزلا أيضاً:

كأنمّا تقرا أبصارنا ... من وجهة آيات سجدات

وكقوله متغزلا:

عسى يطيل الوقوف بيني ... وبينك الله في الحساب

وكقوله متغزلا في سبى مقرئ:

تلا فدعا قلبى إلى حبّ وصله ... وعهدى بما يتلوه ينهى عن الحبّ

وكقوله:

ولم أر في الأيام يوماً مباركاً ... علي كيوم زرت فيه محمداً

وكقوله:

مثل النّصارى لا نسبٌ لاجلهم عيسى وقد سَبّوا النبيَّ محمّدا

وقد أورد الشاعر عددا من ألفاظ الطبيعة، فقد ذكر العيس والفلاة كما في قوله:

دع العيس في طي الفلا تبلغ المدى فقد ألهمت أنَّ المسير على هدى

وكقوله من قصيدة :

كأني سألت الريح عن لين قدّها فهزت قضيب البان لي هين هبّت

ومن السمات البارزة لشعر الشعراء في هذه الفترة الإتباعية، فقد كان الشعراء يستحضرون نماذج شعرية لشعراء سابقين، ويحاكونها. وقد نلحظ أثناء تتبع الصورة الشعرية أنَّ المادة الأوليّة لها كانت مما ذكره شعراء العربية السابقون، وقد نتساءل عن تفسير لهذه الظاهرة فنجد أنفسنا أمام عدة أجوبة، فقد يكون لما ردّده النقاد المسلمون من أن الأقدمين قد استغرقوا المعاني، ولم يبق للاحقين من المعاني إلا القليل. لذا انكب الشعراء على التراث الشعري ينهلون منه ويرددون معانيه. وقد تكون نظرة الشعراء إلى العصور الأولى على أنّها المثل الأعلى للحياة الدينية والخلقية، والعجمة لعلوم الدين وبعض فروع الثقافة كما إن اتساع المسافة بين لغة الأدب ولغة الحياة اليومية جعلت الشعراء يعيشون في دووابن الشعر القديم، يتعلمون منها أساليب التعبير.(٧٧)

وعلى الرغم من ذاتية التجربة في أشعار الشاعر فإنّه قد انفتح في قسم من هذه الأشعار على نصوص أخرى وأفاد منها، يقول :

إن كان يحلو لديك ظلمي فزد من الهجر في عذابي

فربما أخذه من قول الشاعر:(٧٨)

ولقد هممت بقتلها من حبها كيما تكون خصيمتى فى المحشر

وربما من قول المتنبى:(٧٩)

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا ارضاكم ألمُ

وأما قوله:

له سائلا علم وجود يجيب ذا على عجل منه وذا عن تثبُّتِ

فربما أخذه من قول ابن الرومي:(٨٠)

ترى قاصديه، ذا سؤال يميحه فواضـــله، أوذا سؤال يباحثه

فما يجتنى الميسور من لا يزوره ولا اللؤلؤ المنثور من لا يحادثه

وأمَّا قوله:

جحدوا الذي سمعوا وقالوا غيره ولو أنَّهم لا يسمعون تقوَّلوا

فربما أخذه من قول الشاعر:(٨١)

أن يسمعوا الخير يخفوه، وان سمعوا سرا أذيع، وإن لم يسمعوا كذبوا

واســتخدم ابــن رواحــة التصــوير بأنواعــه المختلفة للتعبير عن انفعالاته، وكان الموضوع الرئيسي للصورة في الشعر موضوع الدراسة هو الغلمــان، وأوضــح سمة للصورة عنده قربها الشديد من الحواس، لذا كان الشــاعر يجهــد نفسه للمقارنة بين الأشياء، واستخلاص صور مطابقة في التشــبيه، ويبدو كلف الشاعر بالصور اللونية على نحو بين كما فى الأبيات التالية التى يصور فيها جمال أحد الغلمان، يقول :

لا تضنوا عذاره طرَّز الخــ ــدَّ فما كان ذا افتقارا إليهِ

إنَّما لــحظه أراق دماءَ وبدا أثــرها علــى وجنتيهِ

فرأى وردهــا بقتلى تما ما، فــأولى بنفسجا عارضيهِ.

وهذا الشعر يماثل شعر القاسم الواسطي توفي ٦٢٦ هــ حيث يقول: (٨٢)

ديباج وجهك بالعذار مــــطرَّزُ برزت مــحاسنه وأنتَ مَبِّرزُ

وجنت على وجنات خدّك حمرةٌ خَجِلَ الشقيق بها وحار القرمزُ

وتــتداخل الصورة البصرية: الهلال، البانة، الجؤذر، مع الصورة اللمسية الكثيــب، والقســم الأكبر من صور الشاعر من الصور الجزئية القائمة على التشبيهات المفردة، فهو يشبه حبيبه بالهلال والبانة والكثيب والجؤذز، وهي صور مستوحاة من الطبيعة، يقول:

يا هلالا وبانة وكثيبا وجؤذرا

وقد يشبه الشاعر نفسه بالسّهم، حيث يقول متغزلاً:

كأنَّي سهم كلما جرَّني الهوى إليكم رمتنى الحادثات فأقصتِ

..... أمَّا قد المحبوبة فهو يشبه قضيب البان، يقول مسائلا الرِّياح:

كأنيَّ سالت الرِّيح عن لين قدِّها فهزّت قضيب البان لي حين هبتِ

ونشر الغلام أذكى من الورد، يقول:

أقول للورد ونشر الذى أهداه لي أذكى من الورد

.... ووجـــه الغلام، يشبه القمر الذي يعير الصبح حسن تبسم، وتأوده يشبه الغصـــن الليـــن، أمـــا بـــروز شاربه فتمثل للشاعر باخضرار الروض حول المورد، أمّا مقبّله فيشبه الدُّر فى الياقوت تحت الزبرجد يقول :

قمر أعار الصُّبح حسن تبسُّم وأعار منه الغـــصن لين تأوّدِ

واخضرّ شاربه فبان، لغلّتى منه اخضرار الروّض حول المورد

ومتى يباح لعاشقيه مقـــبّل كالدُّر فى الياقوت تحت زبرجد

والغلام قمر يخجل منه القمران، يقول:

صدني بعد اقتراب وجفاني قمر يخجل منه القمران

وقـــد يتكئ الشاعر على الاستعارة لإبراز صوره، فالدمع يكتب والوصال لـــه باب، وللصبر باب أيضا، يقول متغزلا مخاطبا غلامه مبرزا حرارة وجده وألمه وشكواه :

كم كتب الدّمع فوق خدي إليك شكوى بلا جواب

أغلقت باب الوصال دوني فسـدّ للصّبر كل باب

وللظلام جلباب في رثاء الشاعر لوالد ابن عساكر، يقول:

وتمزيق جلباب الظلام لفقدِهِ وزحرة رعد مثل حسرة باطل

كمـــا يلجأ الشاعر إلى التشخيص فالموت بيد الممدوح يجعله رصدا للشاعر، يقول:

أقمت الموت لي رصدا فأخشى زيارته وان يك لم يزرنى

وللفخر برد يلبس، يقول فى مدحه للملك الناصر وذكر الإسكندرية:

فلو لبست به للفخر بردا لجرت فضل أذيال وردن

وآخـــر حـــب الشاعر للمحبوب كأوّله، والمحبوب أصبح للشاعر نار وجنة، وخـــداه كجمـــر الغضـــا، وريقه كالسلسبيل، والمحبوب لين كأغصان النقا، وقوامه كاعتدالها يقول:

يزداد حُبُّكَ كـــلّ يوم حدة وكـــــأنّ آخره بقلبى أول

أصبحت نار للمحـــب وجنة خدّاك جمر غضا وريقك سلسل

لك لين اغصان النقا لو لنت لي ولك اعتـــدال قوامها لو تعدل

وقميص الغلام الأكحل، أكحل من طرف الغلام الكحيل، يقول:

برزت للناس فى قميص أكحل من طرفك الكحيل

والملك الناصر كالشمس الساطعة في المعركة، يقول:

غدا كالشمس يوم وغى يِنقع فشقَّ النُّور مـــنه ملاء دجن

وقد يلجأ الشاعر فى صورة إلى التشبيه التمثيلي، يقول فى رثائه لوالد ابن عساكر:

وليس الذي يبكي إماما لدينه كباك لدنياه ذهاب القبائل

ونفع الشاعر من الممدوح بعد ذهاب وقته كرقَّة الشامت بعد دفن الإنسان الذي شمته، يقول:

وما نفعي بعطفك بعد موت كرقَّة شامت من بعد دفن

وخيال البطل صلاح الدين الأيوبى كالطيف، يقول :

يرون خياله كالطّيف يسرى فلو هجعوا أتاهم بعد وهن

ويوظـف ابن رواحة البديع من جناس وطباق ورد العجز على الصدر فـي صـوره، شأنه في ذلك شان شعراء عصره الذين أظهروا كلفا بالبديع، يقول:

وأبدى ضد ما أخفى وأخفى ضد ما أبدى

وكقوله:

إن كان وصل فالمنى أو كان هجر فالشهادة

وكقوله:

تودُّون عودي، لو قدرت إليكم وقد أبعد المقدار في البين شُقَّتي

كأني ســهم كلما جرَّني الهوى إليكم رمتنى الحادثاتُ فأقصتِ

وكقوله:

أنصُّ لها في ســـــيرها بأناملي يدا كلما نـــصَّت إلى يثرب يدا

لقد غنيت بالوجد عن جاذب البرُا كما شغلت بالشَّوق عن شائق الحُدا

ولم أر في الأيام يوما مـــــباركا علىَّ كـــــيوم زُرتُ فيه محمَّدا

وكقوله في الهوى:

أضعت دنياي بهجرانه إن نلت وصلا ضاعت الأخرى

ومنه قوله في العِذار:

قمر أعار الصبح حسن تبسُّم وأعـــار منه الغصن لين تأوُّدِ

واخضرّ شاربه فبان، لغـُلَّتى منه اخضرار الرَّوض حول المورد

وكقوله من قصيدة:

عُدني وإلَّا فعِدنى إن صحَّ جسمي تزورُ

وكقوله:

دعوتك مشتاقا لنيل صنيعـــة فكنت إلى بذل الصـــنائع أشوقا
وكم عقد حلت بعزمك لم تكن تحل بعزم من ســـواك ولا رقا
فأصبح في الملك المخلّد خـــالدا كما كان فى الرأي السديد موفقا

وكقوله:

إذا سمعت الوعظ من واعـظ فأقبل وإن خـــالف ما قالا
فالقوس ترمي السهم معوَّجة وقد يصـــيب السَّهم آجالا

وكقوله:

قل للرَّوافض: إنّكم فى سبِّكم أهل الهدى مع حبنا علم الهدى
مثل النَّصارى لا نسبُّ لأجلهم عيسى وقد سبُّوا النبيَّ محمدا

وقد يرد الشاعر عجز البيت على صدره، يقول:

فما من ظبية تفدى بليث ولا ليـــث فـــدى رشأ أغنّ

الهوامش

١) معجم الأدباء، ١٤٧/٣، فوات الوفيات ٣٧٦/١ الوافي بالوفيات ٤١٣/١٢ خريدة القصر، قسم شعراء الشام ٤٨١/١، المقفى الكبير ٥١٧/٣.

٢) معجم الأدباء ١٤٧/٣، فوات الوفيات ١٣٧٦/١، الوافي بالوفيات ٤١٣/١٢، خريدة القصر، قسم شعراء الشام ١/(٤٨١) المقفى الكبير ٥١٧/٣.

٣) التكملة لوفيات النقلة ١١٦/١.

٤) خريدة القصر ٤٨٢/١-٤٨٣.

٥) الروَّضتين ٩٧/٥-٩٨.

٦) النجوم الزاهرة – القسم الخاص بالقاهرة ص١٦٠، الرّوضتين ٨٨/٥.

٧) الكامل لابن الأثير ٣٨/١٢.

٨) خريدة القصر، قسم شعراء الشام ٤٨١/١.

٩) الروَّضتين ٩٨/٥.

١٠) معجم الأدباء ١٤٧/٣، فوات الوفيات ٣٧٦/١، الوافي بالوفيات ١٢/ ٤١٣ خريدة القصر ٤٨١/١، المقفى الكبير ٥١٧/٣.
١١) التكملة لوفيات النقلة ١/ ١١٦.
١٢) المقفى الكبير ٥١٧/٣ -٥١٨.
١٣) المصدر نفسه ٥١٨/٣.
١٤) خريدة القصر ٤٨٢/١.
١٥) الروضتين ٩٧/٥.
١٦) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، .د. أحمد بدوي ص٩١.
١٧) حركات التجديد في الأدب العربي، د. عبد العزيز الأهواني ص ٥١.
١٨) الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء أحمد فوزي الهيب ص ١١٤.
١٩) انظر المقطوعة رقم (١).
٢٠) انظر المقطوعة رقم (٢).
٢١) انظر المقطوعة رقم (٣).
٢٢) انظر المقطوعة رقم (٤).
٢٣) انظر المقطوعة رقم (٤).
٢٤) انظر القصيدة رقم (١٤)
٢٥) انظر المقطوعة رقم (٦).
٢٦) انظر المقطوعة رقم (١٥).
٢٧) انظر القصيدة رقم (٢٠).
٢٨) انظر القصيدة رقم (٢٠).
٢٩) انظر المقطوعة رقم (٦).
٣٠) انظر المقطوعة رقم (٧).
٣١) انظر المقطوعة رقم (٩).
٣٢) انظر المقطوعة رقم (١٢).
٣٣) انظر المقطوعة رقم (١٤).
٣٤) انظر القصيدة رقم (٢٠).
٣٥) انظر المقطوعة رقم (٢٤).

٣٦) انظر القصيدة رقم (٢٠).
٣٧)انظر القصيدة رقم (٢٠) .
٣٨) انظر المقطوعة رقم (٢٢).
٣٩) انظر المقطوعة رقم(٢٣).
٤٠) انظر المقطوعة رقم(٢٨).
٤١) انظر المقطوعة رقم(٢٨).
٤٢) انظر المقطوعة رقم(٢٩).
٤٣) انظر المقطوعة رقم(٢٩).
٤٤) انظر المقطوعة رقم(٣٠).
٤٥) انظر المقطوعة رقم(٣).
٤٦) انظر المقطوعة رقم(١٨).
٤٧) انظر المقطوعة رقم(١١).
٤٨) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٤٩) انظر القصيدة رقم (٢٥).
٥٠) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥١) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٢) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٣) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٤) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٥) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٦) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٧) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٨) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٥٩) انظر القصيدة رقم(٢٥).
٦٠)انظر المقطوعة رقم(١٠).
٦١) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٢) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٣) انظر القصيدة رقم(٢١).

٦٤) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٥) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٦) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٧) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٨) انظر القصيدة رقم(٢١).
٦٩) انظر القصيدة رقم(٢١).
٧٠) انظر المقطوعة رقم (١٦).
٧١) انظر المقطوعة رقم (١٩).
٧٢) انظر المقطوعة رقم (٨).
٧٣) انظر المقطوعة رقم (٢٧).
٧٤) انظر المقطوعة رقم (١٣).
٧٥) انظر المقطوعة رقم (٢٥).
٧٦) أساليب الجملة الإفصاحية د. عبد القادر مرعي ص٧٥.
٧٧) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار،د. عبد العزيز الأهواني ص٢٧ - ص٢٩
٧٨) معجم الأدباء ٣/١٥٠.
٧٩) ديوان المتنبي ٣/٣٧٠.
٨٠)ديوان ابن الرُّومي ١/٢٨٥، وفي رواية الديوان (صاحبيه) بدلا من (قاصديه) و (وما) بدلا من (فما) .
٨١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدّنيوري، ٢/٣٥.
٨٢) قلائد الجمان ٥/٥٨٧.

منهج التحقيق:

سرتُ في ترتيب شعر الحسين بن عبدالله بن رواحة حسب الخطوات التالية:

١- رتّبت القصائد أو المقطوعات الشعرية حسب القافية ترتيباً ألفبائيا.
٢- أثبت القصيدة أو المقطوعة الشعرية مضبوطة الشكل وقمتُ بترقيم أبياتها.
٣- أعطيت كلّ قصيدة أو مقطوعة رقماً.
٤- أثبت بحر القصيدة أو المقطوعة في أول كلّ قصيدة أو مقطوعة.
٥- أوردت الأبيات الشعرية حسب تسلسلها فيما جاء في أقدم الروايات وفي التخريج أوردت الأبيات حسب ترتيب ورودها في المصادر المختلفة.
٦- رتّبتُ مظان التخريج ، بادئا بالمصادر التي اشتملت على أكثر الأبيات، ثم ذكرتُ المصادر التي اشتملت على أبيات معدوده منها دون مراعاة للتسلسل التاريخي
٧- أعطيتُ الأبيات داخل القصيدة أو المقطوعة أرقاماً، وضمن رقم كلّ بيت كلّ إلاشارة آلي :
   أ- الاختلاف في الروايات بين المصادر
   ب- تفسير الأ لفاظ اللغوية الغريبة
   ج- التعريف بالأماكن والأعلام الجغرافية في شعره

شعر الحسين بن عبدالله بن رواحة

الرقم البحر

(١) الوافر

قال أبو سالم بن الزّاهد الواعظ الواسطي: كنت جالساً مع ابن رواحة بحماة، وإذا قد مرّ غلام حسن فدعاه ، فقال: يا فلان: ما حملك على جفاء فلان، وسمّى شخصاً قد مات، مع معرفتك بحبّه لك؟ فقال الغلام:إنّي ندمت بعد ذلك، فأنشدني ابن رواحة في الحال لنفسه:

١- يرقّ لمن يموت به شهيداً ويهجرُ دائما أهل البقاءِ
٢- لِتعلم أنّه من حُور عَدن مَنَانُ وصالِهِ بعد الفناءِ

التخريج:
ورد البيتان في الوافي بالوفيات ٤١٦/١٤ ، وفي المقفى الكبير ٥١٩/٣ .

اختلاف الروايات:
١-وردت في المقفى الكبير (يجود) بدلاً من (يرقّ)
٢-وردت في المقفى الكبير (ليعلم) بدلاً من (لتعلم)، و(منال وصاله) بدلاً من (منان وصاله).

(٢) الهزج

وقال :

١- حبيب جار واستعدي على عاشقه عمداً
٢- وأبدى ضدّ ما أخفى وأخفى ضدّ ما أبدى
٣- أما والله لا أسلو ولو أوسعني بعدا
٤- وهل يرضى أخو الإسلا م أن يصبح مرتدّا

التخريج:
وردت الأبيات في المقفى الكبير ٥١٨/٣

(٣) الطويل

ومن شعره يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١- دع العيس في طيّ الفلا تبلغ المدى فقد ألهمت أنّ المسير على هدى
٢- أنصُّ لها في سيرها بأناملي يداً كُلمّا نصّت إلى يثرب يدا
٣- لقد عَنِيَت بالوَجد عن جاذب البرا كما شُغِلت بالشَّوْق عن شائق الحُدا
٤-ولم أر في الأيّام يوماً مباركاً عليّ كيوم زرتُ فيه محمّدا

التخريج:
وردت الأبيات في المقفى الكبير ١٥٨/٣

(٤) الرّمل

وقال أيضاً:

١- مـــَـن لِعينيَّ بالكـــــرى ... فـــأرى الطّيف إن سرى
٢- طال عـــهدي فـــعاد قلـــ ... ـــــبي لطرفي مخبـــرّا
٣- كلمـــا اشتقـــت أن أرا ... ك أطـــلـــت الـتّفكرُّا
٤- يا هـــــلالاً وبانـــــة ... وكثيبـــاً وجُـــؤذرا
٥- لم أبـح بالهـوى الخـــفيّ ... اختيـــــــاراً فأهْجـــرا
٦- إنّمـــا السّقـــم نـــمّ عنـــ ... ـــه ودمعـي به جـــرى
٧- أنت أبديـــــت لي بوجـــ ... ـــهـــك عـــذراً إلى الورى
٨- أنـــت فرّقـــت بيـــــن أجفـــ ... ـــان عينـــيَّ والكرى
٩- دع نـــودّع خـــدّيك لثـــ ... ـــما وإن شئت منظرا
١٠- قبل أن يَكْمُلَ العـــــذا ... ر عليـــــه، فمـــا يُـرى

التخريج:
وردت الأبيات في خريدة القصر ٤٨٣/١ – ٤٨٤

(٥) السريع

١- يا قلبُ دع عنك الهوى قسَرا ... مـــا أنـــت منه حامدا أمـــــرا
٢- أضعتُ دنياي بهجرانـــــــه ... إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

التخريج :
ورد البيتان في الوافي بالوفيات ٤١٣/١٢ ، وفي فوات الوفيات ٣٧٧/١
وفي معجم الأدباء ١٥١/٣، وفي المقفى الكبير ٥١٩/٣.

اختلاف الروايات:
١-وردت في المقفى الكبير "منه حامد" بدلا من "منه حامدا".
٢-وردت فـــي المقفـــى الكبـــير"أضـــعت دنـــياك بهجرانهم" بدلا من "دنياي بهجرانه".

(٦) من مخلّع البسيط
وأنشد ابن رواحة في قلعة حلب سنة ثلاث وستين في ذي الحجّة :

١- يا ماطلاً لا يرى غليلي ... لديه ورداً سوى سرابِ
٢- تعلّم الطّيف منك هجري ... فلاه أراه بلا اجتنابِ
٣- كم كتب الدَّمع فوق خدّي ... إليك شكوى بلا جوابِ
٤- أغلقت باب الوصال دوني ... فَسُدَّ للصّبر كُلّ بابِ
٥- إن كان يحلو لديك ظُلمي ... فزد من الهجر في عذابي
٦- عسى يُطيلُ الوقوف بيني ... وبينك الله في الحسابِ

التخريج: وردت الأبيات في خريدة القصر ٤٨٣/١٠
ورد البيتان ٥ ، ٦ في الوافي بالوفيات ٤١٤/١٢ ، وفي فوات الوفيات ٣٧٧/١. وفي معجم الأدباء ١٥٠/٣٠

اختلاف الروايات:
وردت في الوافي بالوفيات وفوات الوفيات ومعجم الأدباء (قتلي) بدلاً من (ظلمي).

(٧) الطويل

وقال في صبيّ مقرئ في سنة سبع وستين:
١- تلا فدعا قلبي إلى حبّ وصله ... وعهدي بما يتلوه ينهى عن الحُبّ
٢- فكيف اصطباري عنه لو كان مُسمعي ... غناء الغواني من مقبّلهِ العذبِ

التخريج:
ورد البيتان في خريدة القصر ٤٨٧/١، وفي الوافي بالوفيات ٤١٦/١٤.

الشروح:
البيتان من مختارات الوافي. وفي تقديمهما: ومن شعر ابن رواحة في مليح يقرأ القرآن.

(٨) الطويل

ومن مقطعاته في الألغاز والمعمّى قوله في الجلّنار ملّغزاً :

١- وما تاج روميّ لبيضة باســـل عليها دم إذ فلّلتـــها المضـــاربُ
٢- تناسب أقراط الدّيوك ذُيـــولها كما العرف للتّشريف منها مناسبُ
٣- لها باطن كالزّعفران تعلّقـــت به من شرار أو نضار ، كواكـــبُ
٤- حكتها صغاراً بالخدود شبيه ما حكتها كباراً بالنهـــود الكـــواعبُ
٥- إذا فرطت فهي العقـــيق مبدّداً وإن رُشفت فالشّهد بالثّلـــج ذائـــبُ

التخريج:

وردت الأبيات في خـريدة القصر ١/٤٨٨.

(٩) السريع

... ومرّ به صبّي جميل الوجه فغمّض عينيه حتى مضى ، وكان مع القاضي الفاضل ، فقال له القاضي الفاضل ، لم فعلت ذلك ؟ فقال :

١- إذا بدأ ينغضّ طرفي لـــه لخوفه من آفـــةِ الآفاتِ
٢- كأنّمـــا تقـــرأ أبصارنـــا من وجهه آيات سجداتِ

فجعل القاضي الفاضل يكرر قوله: آيات سجدات، إعجاباً بها.

التخريج:

ورد البيتان في المقفى الكبير ٣/٥٢٠.

(١٠) مجزوء الكامل

وقال في الهوى:

١- لامو عليك وما دروا أنّ الهوى سببُ السّعادة
٢- إن كان وصلٌ فالمُنى أو كان هجرٌ فالشّـــهادة

التخريج:

ورد البيتان في الوافي بالوفيات ١٢/٤١٤، وفي معجم الأدباء ٣/ ١٥١، وفي فوات الوفيات ١/٢٧٥، وفي المقفى الكبير ٣/٥١٩.

اختلاف الروايات:

٢ـ ورد فـــي المقفى الكبير (نلت) بدلاً من (كان)، (ونلت هجراً) بدلاً من (كان هجرٌ) .

(١١) الطويل

وأنشدني أيضاً له من قصيدة :

١_تودّون عودي لو قدرت إليكم وقد أبعد المقدار في البين شُقّتي

٢_كأنّي سهمٌ كلّما جرّني الهوى إليكم رمتي الحادثات فأقصت

ومن الغزل:

٣_كأنّي سألت الرّيح عن لين قدّهافهزّت قضيب البان لي حينَ هبّتِ

ومن مديحها:

٤_له سائلاً علم وجود يجيب ذا على عجل منه وذا عن تثبُّتِ

٥_فهذا بنوال للمؤالف مُنطق وذا بمقال للمُخالفِ مُسكتِ

التخريج :

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٨٦ – ٤٨٧

(١٢) السريع

وأنشدني له في غلام أهدى له ورداً :

١ – أقولُ للورد، ونشرُ الذّي أهداه لي أذكى من الورد.

٢ – أشبهته في النّشر طيباً فلمخَالفته في الحفظ للعهد .

التخريج:

ورد البيتان في خريدة القصر ١/٤٨٧ .

(١٣) الكامل

وأنشدني لنفسه:

١ –قل للرّوافض : إنّكم في سَبّكم أهل الهوى مع حُبّنا علم الهدى

٢ –مثلُ النّصارى لا تَسُبُّ لأجلهم عيسى ، وقد سبُّوا النبيَّ محمّدا

التخريج:

ورد البيتان في خريدة القصر وجريدة العصر ١/٤٩١، وفي الوافي بالوفيات ١٢/٤١٤ – ٢١.

إختلاف الروايات:

١ – في الوافي: (في حُبّكم) بدلا من(في سَبّكم) .

(١٤) الكامل

وقال من قصيدة في العذار:

١- قمرٌ أعار الصُّبْحَ حسن تبسُّمٍ وأعار منه الغصن لين تأوّدِ
٢- واخضر شاربه فبان لغلّتي منه اخضرارُ الروّض حول المورِدِ
٣- ومتى يباح لعاشقيه مقبَّلٌ كالدُّرّ في الياقوت تحت زبرجدِ

التخريج:

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٨٤ .

(١٥) المجتث

وله من قصيدة :

١-عُدني وإلاّ فعِدني إن صح جسمي تزورُ
٢-تاريخ وصلك عندي مذ لم أنله شهورُ
٣-وإن هجران يوم على المُحِبّ كثيرُ

التخريج:

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٩٠

(١٦) الخفيف

وقال في هجو إنسان بمصر:

١- أحكمت عرسُه ضروب الأغاني من ثقيل في رأسه وخفيف.
٢- وتمنّت عليه كُلَّ الملاهي غير وحده لمعنًى لطيف.
٣- فقضيباً لاسم ونايا لشكل ورَبابا للجرّ والتصحيف.

التخريج:

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٩٠. وفي الوافي بالوفيات ١٢/٤١٥ .

(١٧) الوافر

وقال:

١- وللزنبور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحةٌ وخفقُ
٢- ولكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزُّنبورُ فرقُ

التخريج:

وردت الأبيات في معجم الأدباء ٣/١٥١ .

(١٨) الطويل

وقال في موفق الدين خالد بن القيسراني مستوفي نور الدين:

١- دعوتك مشتاقاً لنيل صنيعة فكنت إلى بذل الصنائع أشوقا
٢- وكم عقد حلّت بعزمك لم تكن تحلّ بعزم من سواك ولا رقا
٣- تفاءل نور الدين باسمك مثلما حوى بك نعتاً في الأمور محققاً
٤- فأصبح في الملك المخلد خالدا كما كان في الرأي السعيد مُوَفّقا

التخريج:

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٨٥ - ٤٨٦

الشروح:

١- كان القيسراني وزيرا لنور الدين ، وقيل : إنّه رأى في منامه أنّ نور الدين يغسل ثيابه ، وقص ذلك عليه، ففكر نور الدين ساعة ثم أمره بكتابة إسقاط المكوس، وقال:هذا تفسير منامك.

(١٩) السريع

وقال في واعظ بمصر كان فاسقا :

١- إذا سمعت الوعظ من واعظ فأقبل وإن خالف ما قالا.
٢- فالقوسُ ترمي السّهم معوجّة وقد يصيبُ السّهم آجالا.

التخريج:

ورد البيتان في المقفى الكبير ٣/٥١٩

(٢٠) الكامل

وقال:

١-مالي على السُّلوان عنك معوّل فإلام يتعبُ في هواك العذّلُ
٢-يزداد حُبُّك كلّ يوم جدّة وكأنّ آخره بقلبي أوّلُ
٣-أصبحت ناراً للمحبِّ وجنّة خدّاك جمر غضاً وريقُك سلسلُ
٤-لك لين أغصان الثقا لو لنت لي ولك اعتدال قِوامها لو تعدلُ
٥-يا راشقاً هدف القلوب بأسهم خَلّ السّهام فسحر طرفك أقتلُ
٦-ما للوشاة سعوا بنا يا ليتهم ثكلوا أحَبّتهم كما قد أثكلوا
٧-جحدوا الذي سمعوا وقالوا غيره ولو أنّهم لا يسمعون تقوّلوا
٨-هب أن أهلك أوعدوا وتهددوا من يرعوي من ذاك أومَنْ يقبلُ
٩-ويلاه منهم يشفقون عليك من أجلي، وإشفاقي أشدّ وأكملُ
١٠-مالي أعاين وجهَ ودّك معرضاً حذر الرقيب ووجه ودّي مقبلُ

التخريج:
- وردت الأبيات في خريدة القصر ٤٨٤/١ - ٤٨٥.
- ورد البيتان ١ ، ٢ في المقفى الكبير ٥١٨/٣.

الشروح :
٧. هذا مأخوذ من قول الشاعر :
أن يسمعوا الخير يخفوه ، وإن علموا شرّاً أذيع ، وإن لم يعلموا كذبوا
والبيت لطريح الثقفي/ عيون الأخبار ٣٥/٢ .

(٢١) الطويل
كتب إلينا (أبو علي) لما بلغه موت والدي رحمه الله قصيدة رثاه بها ، ثم قدم علينا فأنشدنا إياها من لفظه بجامع دمشق، وهي :

١- ذوى السعي في نيل العلى والفضائل مضى من إليه كان شد الرواحل
٢- وقولاً لساري البرق إنى يعينه بنار أسى أو دمع سحبٍ هواطل
٣- وتمزيق جلباب الظلام لفقده وزخرة رعد مثل حسرة باطل
٤- فأعلن به في البعد واستوقف الثرى لطلا به من قبل غلي المراجل
٥- وقل غاب بدرالتم عن أنجم الدجى وأشرق منهم بعده كل آفل
٦- وما كان إلا البحر غار ومن يرد سواحله لم يلق غير الجداول
٧- وهبكم رويتم علمه عن رواته وليس عوالي صحبه بنوازل
٨- فقد فاتكم نور الهدى بوفاته ونور التقى منه ونجح الوسائل
٩- وماحظ من قد غره نصل صارم رجا نصره من غمده والحمائل
١٠- ليبك عليه من رأه وإن حوى مداه بأيام لديه قلائل
١١- ويقضى أسا من فاته العمر عاجلا برؤيته والفوز في كلّ آجل
١٢- أسفت لارجائي قدوم أعزة عليه وتسويفي بعام لقابل
١٣- ولو أنهم فازوا بادراك مثله لا ذروا على سن الصبا بالأماثل

١٤- فيا لمصاب عمَّ سنّة أحمد وباعدها من كل راو وناقل

١٥- خلا الشام من خير خلت كل بلدة له من نظير في الحياة مماثل

١٦- وأصبح بعد الحافظ الدين مهملاً بلا حافظ يدعو بكاف ونـاقل

١٧- بعالم لمَّا أن ثوى قل جاهه ولله لما أن مضى كل خامل

١٨- خلت سنة المختار من ذب ناصر فاقرب ما غشاه بدعة جاهل

١٩- نحا للامام الشافعي مقالة فأصبح يثني عنه كل مجادل

٢٠- وأيد قول الأشعري بسنّة فكانت عليه من أدلّ الدلائل

٢١- وكم قد أبان الحق في كل محفل فاروى بما أروى ضماء المحاقل

٢٢- وسد من التجسيم باب ضلالةٍ ورد من التشبيه شبهة باطل

٢٣- وإن يك قد أودى فكم من أسنةٍ مركبة من قوله في عوامل

٢٤- وإن مال قوم واستمالوا رعاعهم بألسنهم عنه فلست بمائل

٢٥- أرى الأجر في نوحي عليه ولا أرى سوى الأثم في نوح البواكي الثواكل

٢٦- وليس الذي يبكي إماماً لدينه كباك لدنياه ذهاب القبائل

٢٧- أيا قلب واصله بأعظم رحمة وياعين ابكيه باغزر وابل

٢٨- ويا دمع طهر أثم من بات جازعا على ذي غنى بالله عن طهر غاسل

٢٩- ويا قبر بلّغه أشدّ تحيّة مكررة عند الضُّحى والأصائل

٣٠- أعني على نوحي عليه فإنّه قريب تناءَى بالثرى والجنادل

٣١- أغرت قلوب الناس حتى حويته وكانت لنزل منه أولى المنازل

٣٢- ولو لم يكن فيك السبيل لحبّه لضنّ على لحديه كل مباخل

٣٣- مضى من حديث المصطفى كان شاغلاً ... له باجتهاد فيه عن كل شاغل

٣٤- لقد شمل الإسلام منه رزيّة ... وكان له بالنُصح أفضل شامل

٣٥- لقد خلت الأعداء من عذب مشرع ... من الشرع لا يرضى له كل داغل

٣٦- وفضل بين السالفين أطلاعه ... عليهم فألقى النفص عن كل فاضل

٣٧- وأصبح في علم الأسامي وغيرها ... بغير إمام في الورى ومساجل

٣٨- وأكمل تاريخاً لجلق جامعاً ... لمن حلها يا ليته غير كامل

٣٩- فاربت على بغداد فيه ولو يَسرا ... سناه الخطيب كان أخطب قائل

٤٠- أبان يوطئ المصطفى أرض جلق ... وأصحابه فخراً لها غير زائل

٤١- ولو أنصفته أرؤس الناس لم يَسِر ... وقد عدمته من جناه بطائل

٤٢- ولا كتبت خطاً بغير ذبابه ... ولا حملت أقلامها بالأنامل

٤٣- ولا استمطرت غير الدموع وإن يكن ... عليه جرى دمع السحاب الجوافل

٤٤- وإن اناساً لم يفتهم دعاؤه ... بعُرضه حف موشك أو زلازل

٤٥- طوى الموت منه العلم والزهد والنُهى ... وكسب المعالي واجتناب الأرازل

٤٦- وفجع منه العالمين بما جد ... صبور على كيد العتاة حلاحل

٤٧- وأن عبورا صاب دين محمد ... بحق لا حمى من شجاع مقاتل

٤٨- حوى من أحب الحتف أشرف صائن ... واتبعه منه بأعظم صائل

٤٩- ولم أر نقص الأرض يوماً كنقصها ... بموتهما بالإطواء الفضائل

٥٠- أبا القاسم الأيام قسمة حاكم ... قضى بالفنا فينا قضية عادل

٥١- بمـــاذا أعـــزي المســـلمين ولا أرى عـــزاء ســـوى مـــا نلـــت مـــن غـــير طائل

٥٢- ولـــم يســـل عـــنك الـــنفس غير يقينها بمـــا حـــزت مـــن أجـــر وعفـــو مواصـــل

٥٣- علـــيك ســـلام الله مـــا انـــتفع الورى بعلمـــــك واســـــتعلى عـــــن المـــــتطاول

التخريج:

وردت الأبيات جميعها في تاريخ دمشق ٨٢/١٤ -٨٥ .
وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٠٧/٤
وردت الأبيات من ١-٦ و ١٧-٣٩ عدا ٢٨، ٢٩، ٣١، وكذلك الأبيات من ٤٥ - ٤٧ و٤٩ - ٥٣ . في معجم الأدباء ١٤٨/٣-١٤٩.
ورد بعد البيت (٢٧) في معجم الأدباء :

وحيّ ثراه الدهر أهنى تحية مكررةً عند الضحى والأصائل

وردت الأبيات ١،٢،٦،٧،٨،١٨،١٩،٢٢ في سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٦٨/٣ .

اختلاف الروايات:

١-في سير أعلام النبلاء (ذرا) بدلاً من (ذوى) .
٢-في تاريخ دمشق (إنى بعينه) بدلاً من (أنى يعينه) ، وفي معجم الأدباء (إنّي مُعينُهُ)، وفي سير أعلام النبلاء إنّي نعيتُه بدلاً من (انّى يعينه).
٣-في سير أعلام النبلاء (إنى نعيته) بدلاً من (أنى يعينه) .
٤-وفي معجم الأدباء رواية البيت هكذا

فأعلى به للركب واستوقف السرى لقصاده من قبل طي المراجل

٦-في سير أعلام النبلاء (جداول) بدلاً من(الجداول) وفي تاريخ دمشق (وإن يرد) بدلاً (من يرد) .
٨-سير أعلام النبلاء وتاريخ دمشق (وَقر التُّقى) بدلاً من (ونور التقى).
١٠-في معجم الأدباء (هداه) بدلاً من (مداه).
١٢-في معجم الأدباء (وتسويف إلى عام قابل) بدلاً من (وتسويفي بعام لقابل) .
١٧-في تاريخ دمشق (قلّ جاهك) بـــدلاً من (قلّ جاهه) . ورواية البيت في معجم الأدباء هكذا.

وكم من نبيه ضل مذ مات جاهُهُ وقدم لما أن مضى كل حامل

١٩-في تاريخ دمشق (وأصبح) بدلاً من (فأصبح) .
٢١-في معجم الأدباء (يروى) بدلاً من (أروى) .
٢٤-في تاريخ دمشق (بأضلالهم) بدلاً من (بألسنهم) .
٢٦-في معجم الأدباء (على فقد راحل) بدلاً من (ذهاب القبائل) .

٢٧-في معجم الأدباء (فيا قلب) بدلاً من (أيا قلب) (وفاسقيه) بدلاً من (ايكيه)

٢٩-في معجم الأدباء (وحيي ثراه الدهر أهنى تحيّة) بدلاً من (ويا قبر بلغه أشد تحية).

٣٠-في معجم الأدباء (ثواء في الثرى) بدلاً من (ثناء بالثرى).

٣١-في تاريخ دمشق (أمرت) بدلاً من (أغرت).

٣٢-وردت رواية البيت في معجم الأدباء ، هكذا:

ولم لم يكن بالدّمع سيل لحبه لضنّ على لحد به كل باخل.

٣٤-في معجم الأدباء (فيه) بدلاً من (منه).

٣٥-في تاريخ دمشق (قد خلا) بدلاً من (لقد خلت) و(فلا يرضى) بدلاً من (لا يرضى) و(داخل) بدلاً من (داغل).

٣٦-في معجم الأدباء (فذبّ) بدلاً من (فألقى).

٣٧-وردت رواية البيت في معجم الأدباء، هكذا:

وأصبح في نقد الرّجال مميزاً بغير نظير في الورى ومساجل.

٣٨-في معجم الأدباء (من كل شهم وكامل) بدلاً من (ياليته غير كامل) وفي تاريخ دمشق (بالتيه) بدلاً من (ياليته).

٣٩-وردت رواية البيت في معجم الأدباء، هكذا:

فأزرى بتاريخ الخطيب وقد غدا بخطبته في الكتب أخطب قائل.

٤٥-في معجم الأدباء (الرذائل) بدلاً من (الأرازل) .

٤٦-في معجم الأدباء (وأفجع فيه) بدلاً من (وفجع منه).

٤٧-وردت رواية البيت في معجم الأدباء، هكذا:

وكان غيوراً ذبّ ذب عن دين أحمدٍ وأدفع عنهُ من شُجاع مفاتل

٤٨- وردت رواية البيت في معجم الأدباء هكذا:

وأحرم منه الدين أشرف صائن له ولدمع الزّيغ أعظمْ صائل

٤٩- في معجم الأدباء: (بموت إمام عالم ذي فضائل) بدلاً من (بموتهما بالإنطواء الفضائل)

٥١-في معجم الأدباء: (سوى من قد مضى من أفاضل) بدلاً من (سوى ما نلت من غير طائل) وفي تاريخ دمشق (نائل) بدلاً من (طائل).

٥٢- وردت في تاريخ دمشق (تَسلُ) بدلاً من (يَسلَ).

٥٣-في معجم الأدباء: (على المتطاول) بدلاً من (عن المتطاول).

الشروح:

٢٣- العوامل: جمع عامل وهو صدر الرمح.

٤٦- الحلاحل: الجرئ المقدام الجسور.

(٢٢) المنسرح

وقال في غلام لبس الكحلي:

١- برزتَ للنّاس في قميص أكحل من طرفك الكحيـــل
٢- فيك من الحسن كلُّ فـنٍ وفيك للنفس كُـــلُّ سُـول
٣- كيف اتخذت الحداد لبُساً ولست تأسى على القتيـل

التخريج:

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٨٥

(٢٣) السريع

وقوله في اسم إلياس :

١-أتيت من أهواه عكس اسمه فلم أنل منه سوى الاســم
٢-وكلمّا أطمعني ضـــــدّه عاد به التيه إلى الرّســـم

التخريج:

ورد البيتان في خريدة القصر ١/٤٨٩، وفي الوافي بالوفيات ١٢/٤١٥

الشروح:

في تقديم الأبيات في الوافي : ومنه في مليح اسمه إلياس .

(٢٤) الرّمل

وقوله في مليح اسمه إبراهيم :

١-صدّني بعد اقتراب وجفاني قمرٌ يخجل منه القمـــران
٢-لست أدعو بأسمه ضنّاً به غير أنّي بالذي أخفيه كان
٣-ظمَأي فيه ظمـــأ آخـره ليتني أوّله ممّـا عرانـي

التخريج :

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٨٨، وفي الوافي بالوفيات ١٢/٤١٤.

اختلاف الروايات:

*في الوافي في تقديم الأبيات : ومنه في مليح اسمه إبراهيم .

١- في الوافي بالوفيات (دان) بدلاً من (كان) .

(٢٥) الوافر

ثم سافر إلى مصر وأقام في ظل الملك الناصر، وإنعامه الوارف الوافر، وفاز بالجاه الظاهر، والإحسان المتدارك المتواتر، وكنا مخيمين بمرج الفاقوس(١)، مصممين على الغزاه إلى غزة ، مرنحين أعطاف نشاطنا المهتزة ، وقد وصلت أساطيل ثغري دمياط والإسكندرية بسبي الكفار، وقد أوقت على ألف رأس عدة من وصل في قيد الإسار ، فحضر ابن رواحة منشداً مهنئاً بالعيد ، ومعرضاً بما وهبه الملك الناصر من الإماء والعبيد ، بقصيدة منها ، وذلك في عيد النحر سنة اثنتين وسبعين :

١- أيحسن بعد ضنّك حسن ظنّي ... فأجمع بين يأسي والتمنّي

٢- وما نفعي بعطفك بعد فوت ... كرقة شامت من بعد دفن

٣- أ أطمع أن أكون شهيد حب ... فأصحبُ منك حوريا بعدن

قيل له هذا البيت حسن لولا أن الحوري مذكر .

٤- ملكت عليّ أجفاني وقلبي ... فأبعدت الكرى والعذل عني

٥- فكم أرعيت غير اللوم سمعي ... وكم أوعيت غير النوم جفني

٦- صددت وما سوى إفراط وجدي ... لك الداعي إلى فرط التجنّي

٧- لقد أبديت لي في كل حسن ... ضروباً أبدعت لي كلّ حزن

٨- فكم فن من البلوى عراني ... لعشق الوصف منك بكل فنّ

٩- كأنّك رمت أن أسلوك حتى ... أقمت الشبه في بدر وغصن

١٠- فألبس وجهك الأقمار تما ... وعلّم قدّك البان التثني

١١- رماني في هواك طماح طرفي ... إلى حسن فأخلف فيك ظني

١٢- فكم دمع حملت عليه عيني ... وكم ندم قرعت عليه سني

١٣- غدرت وما رأيت سوى وفاء ... فهلا قبل يغلق فيك رهني

١٤- ولوحكم الهوى فينا بعدل لكنت أحقّ بالتعذيب منّي

١٥- أقمت الموت لي رصداً فأخشى زيارته وإن يك لم يزرني

١٦- كما رصد العدى في كلّ يوم صلاح الدين في سهل وحزن

١- يرون خياله كالطّيف يسري فلو هجعوا أتاهم بعد وهن

١٨- أبادهم تخوّفه فأمسى مناهم لو يبيّتهم بأمن

١٩- تملّك حولهم شرقاً وغربا فصاروا لاقتناص تحت رهن

يشير إلى أنه مالك مصر ومالك الشام والأفرنج بينهما .

٢٠- أطاف عليهم من كلّ فجٍّ قبائل يقبلون بغير وهن

٢١- أقام بآل أيوب رباطاً رأت منه الفرنج مضيق سجن

٢٢- فهم للدّين والدُّنيا جبالٌ رواس لا ترى أبداً كعهن

٢٣- إذا اتّبعوا له عزماً ورأياً غنوا في الحرب عن ضرب وطعن

٢٤- وإن نادى : نزال فلن يبالوا قتالهم لإنس أو لجن

٢٥- رجا أقصي الملوك السلم منهم ولم يرا جهده في البأس يغني

٢٦- وخافتهم ملوك الناس جمعاً فلم تقلب لهم ظهر المجن

٢٧- لهم من بأسه ركن شديد ولو طلبوا لما آووا لركن

٢٨- حوت آفاق مصرهم حصوناً فكيف إذا أداروا كلّ حصن

٢٩- غطارفة لهم سلطان عدل يسنُّ لهم مكارمهم ويسني

٣٠- وكم معنّى من الإحسان فاقوا به كرماً على كعب ومعن

٣١- لهم من يوسف الدُّنيا جميعاً وليس له نصيب غير مثن

- أرى رأي التناسخ مصر حقاً بضم اسم إلى عدل وحسن
- ولم أر مثله ملكاً جواداً خزائنه قفار وهو مغن
- غدا كالشمس يوم وغى بنقع فشق الـ ثور منه ملاء دجن

ومنها يصف الداوية من الأفرنج، وهم لا يرون مقاربة النساء لترهبهم:

- أرى داوية الكفار خافت به داء يضعّف كلّ متن
- أبو نسلاً مخافة نسل بنت تفارق دينهم أو قتله ابن
- فقد عقموا به من غير عقم كما جبنوا به من غير جبن
- ومن أنذاهم عدماً حقيق حمد مثلما وجدوا ويغني

نها يصف الأساطيل المنصورة والسبايا المأسورة :

١- لقد خبر التجارب منه حزم قلب دهره ظهراً لبطن
٤- فكفّ الكفر أن يطغى بمكر حيّر كلّ ذي فكر وذهن
٤- فساق إلى الفرنج الخيل براً وأدركهم على بحر بسفن
٤- لقد جلب الجواري بالجواري يمدن بكل قدّ مرجحن
٤- يزيدهم إجتماع الشمل بؤساً فمرنان تنوح على مرن
٤- فما من ظبية تفدى بليث ولا ليث فدى رشاً أغنّ
٤- زهت إسكندرية يوم سيقوا ودمياط فما منيا بغبن
٤- وخيرها هناء ما أتاها بقرب الملك كلٌّ عليّ يهني
٤- فلو لبست به للفخر برداً لجرّت فضل أذيال وردن

التخريج :

وردت الأبيات في خزيدة القصر ١/٤٩١ – ٤٩٥ .

وردت الأبيات من ١-١٣ ، ١٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ في الوافي بالوفيات ١٢/٤١٥ – ٤١٦ .

وردت الأبيات ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ في الرّوضتين ٥/٤٥٣ .

وردت الأبيات ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ في معجم الأدباء ١/١٤٧ – ١٤٨ .

-في الروضتين (ج ، ص ٢٧٠) ينقل عن الخريده هذه المقدمة متخففاً من بعض السجع ويختار من القصيدة عشرة أبيات ، وعند ياقوت في معجم الأدباء من القصيدة مثل الذي عند صاحب الروضتين بزيادة بيت واحد.

أما الصفدي فقد أختار منها في الوافي سبعة عشر بيتاً هي الأبيات الخمسة عشر الأولى باستثناء البيت الرابع عشر : ولوحكم الهوى .. ثم الأبيات الثلاثة : لقد جلب -يزيدهم – فما من ظبية .. من مقطع وصف الأساطيل المنصورة والسبايا المأسورة.

اختلافات الروايات:

١٩-في معجم الأدباء وردت رواية البيت هكذا :

تملك جيشهم شرقاً وغرباً فصاروا بين مملوك ورهن

٢١- في معجم الأدباء: رأت منه الفرنجة ضيق سجن .

٢٥- في معجم الأدباء: (في الحرب يغني) وبعد هذا البيت في معجم الأدباء

فألقى السلم بعد الحرب كرها ولم ير من مناه سوى التمني

الشروح:

١-فاقوس اسم مدينة في جوف مصر الشرقي في آخر ديار مصر من جهة الشام.

١٧-الوهن: الهزيع من الليل . وفي هذا البيت يذكر الملك الناصر.

٣٠- هو كعب بن مامة الإيادي الجاهلي ، كان مضرب المثل في الجود، يقال: (أجود من كعب بن مامة) من خبره أنه آثر بعض أصحابه بنصيبه من الماء في بعض الأسفار حتى مات عطشاً. معن بن زائده الشيباني، من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء. أدرك العصرين الأموي والعباسي. وكان في أيام الأمويين مكرماً متنقلاً في الولايات ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين. فلما صار الأمر إلى بني العباس واحترب المنصور مع يزيد هذا في واسط أبلى معن مع يزيد بلاءً حسناً ، فلما قتل يزيد خاف معن واستتر، وطلبه المنصور فتغلغل في البادية، حتى كان يوم الهاشمية – وهو يوم ثار فيه جماعه من أهل

خراســان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتله عظيمة – والهاشمية مديــنة بناها السفاح بالقرب من الكوفة. وكان معن متوارياً فخرج متنكراً وقــاتل قــدّام المنصــور حــتى أفرج الناس عنه ، فحفظها له المنصور وأكــرمه، وجعلــه فــي خواصه ثم ولاه سجستان فأقام مدة، وقتل فيها غــيلة. أخــباره كثــيرة معجبة، وللشعراء فيه أماديح ومراث من الشعر الخالد منها مرثية مروان ابن أبي حفصة المشهورة:

مضى لسبيله معــــن وأبقــى مكارم لن تبيــد ولــن تنـــالا

وهي من أفخر الشعر وأحسنه. ومنها مرثية الحسين بن مطير الأسدي:

ألماً على معن وقـــولاً لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

(٢٦) الطويل

وأنشــدني لــه في الاستطراد بمن كان زاهداً في شبابه ثم حرص في مشيبه ورغب عن الدنيا:

١-تجلّدت عنها في الشّباب لِعِــزَّةٍ وَأبديت بعد الشَّيب ذلّــة مفـــتونِ

٢-فقالت: أزهداً في شباب ورغبة بشيب، أنا المشتاق وانت ابن فضلونِ

التخريج:

ورد البيتان في خريدة القصر ١/٤٩٠.

الشروح:

٢-ابن فضلون: من الزهدة العبدة يقترن اسمه بقصص كثيرة شائعة في الحياة العامة .

(٢٧) السريع

وقوله في إسماعيل بن بكار :

١-أسمرُ عِيل الصــبر في حبّه ليس له في الحُســن من مشبــه

٢-إن شئت أن تعرفه باسمــه أفرده من رابع حرف بـــــه

٣-طوبى لمــن بات له لــيلة عكس أبيه لهــوى قــلبِــــهِ

التخريج:

وردت الأبيات في خريدة القصر ١/٤٨٩ .

(٢٨) الطويل

وقال في اسم مبارك :

١-وأغيد لا تحكي الأسنــَّة لحظه ولا يَمْلِكُ الخطــيّ لينــاً بِقدّه

٢-تألفني قــرْبُ السّقــام لبــُعده وحالفني وَصْلُ الغرام لِصَــدّه

٣-صباحي إذا ما زارني فيه مثلهُ وعيشي إذا ما صدّ عني بِصدّه

التخريج:
وردت الأبيات في خريدة القصر ٤٨٨/١ - ٤٨٩، وفي الوافي بالوفيات ٤١٤/١٢ - ٤١٥

الشروح:
١-في الوافي في تقديم الأبيات : ومنه في مليح اسمه مبارك .
٢-في الوافي (بصدّه) بدلا من (بضده)

(٢٩) الخفيف

وقال في العذار:

١-لا تلوموا عليه قلب مُحِبٍّ فجميع القلوب طوعُ يديه
٢-لا تقلّوا عذاره طرّ الخـ ـدّ فما كان ذا افتقار إليه
٣-إنّما لحظةُ أراق دماء وبدا أثرها على وجنتيه
٤-فرأى وردها بقتلي تماما فأولى بنفسجاً عارضيه
٥-فتيقنتُ أنني ضاع ثأري حين لم يبق شاهدٌ لي عليه

التخريج:
وردت الأبيات في خريدة القصر ٤٨٦/١ .

(٣٠) الكامل

وقال في اسم يحيى بن عطية:

١-من نال من يحيى اسم والده أيقنت حقّاً أنّهُ يحيا
٢- ومن ابتلاه بطول هِجرتِهِ وجفا عليه فليس في الأحيا

التخريج:
ورد البيتان في خريدة القصر ٤٨٩/١ .

المصادر والمراجع

أ - المصادر :

١) بغية الطلب في تاريخ حلب، صنّفه ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أبي جرادة (ت٥٨٨ هـ)، تحقيق د. سهيل زكار .

٢) تاريخ مدينة دمشق، تأليف الأمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٤٩٩ هـ) دراسة

وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣) التكملة لوفيات النقلة، تأليف زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن القوي المنذري (ت٥٨١هـ)،حققه وعلّق عليه الدكتور بشار عواد معروف،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) .

٤) تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر(ت٤٩٩هـ)،دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان،الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٥) تهذيب سير أعلام النبلاء،تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ)،أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط. هذّبه أحمد فايز الحمصي، وراجعه عادل مرشد، مؤسسة الرسالةللطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى(١٤١٢هـ/١٩٩١).

٦) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب(ت٥٩٧ هـ) قسم شعراء الشام الجزء الأول.عني بتحقيقه د.شكري فيصل.المطبعة الهاشمية بدمشق (١٣٧٥هـ-١٩٩٥م).

٧)الدارس في تاريخ المدارس تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، (ت ٩٢٧هـ)، تحقيق جعفر الحسني،الناشر:مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٨٨.

٨) الرّوضتين في أخبار الدّولتين النورية والصلاحية، تأليف شهاب الدّين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت ٥٩٩هـ) حققه وعلّق عليه ابراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩) فوات الوفيات والذّيل عليها،تأليف محمد بن شاكر الكتبي(ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د.إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

١٠) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، لابن الشعار الموصلي، المبارك بن أحمد بن حمدان (ت ٦٥٤هـ) اصدار فؤاد سزكين بالتعاون مع مازن عماري ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية.

١١) الكامل في التاريخ، تأليف الشيخ العلامة عزالدّين أبي الحسن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠ هـ) دار صادر، بيروت، لبنان .

١٢) العقد المذهب في طبقات حملة المذهب " الإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسي التكروري الشافعي المعروف بابن الملقن، (ت ٨٠٤هـ). حقّقه وعلّق عليه أيمن نصر الأزهري/ سيد مهنى. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٣) المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي.

١٤) معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلي معرفة الأديب، تصنيف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الروحي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥) النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ليوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤ هـ)، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق د.حسين نصار، دار الكتب ١٩٧٠م.

١٦) الوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، باعتناء د.رمضان عبد التوّاب. بطلب من دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٧) الذيل على الروضتين، أو تراجم رجال القرنين السادس والسابع، لأبي شلمة المقدسي (ت٦٦٥ هـ) دار الجيل بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.

١٨) تاريخ أربل ،تأليف شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد الأربلى المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق سامي الصقار وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٠م.

١٩) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت.

٢٠) عيون الأخبار لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) تحقيق د. يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، ط١٤٠٦،١/١٩٨٦، بيروت، لبنان.

٢١) ديوان أبي الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين (ت٣٤٥ هـ)، شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقاء وآخرون، ط ١٣٩١هـ/١٩٧١م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٢) الكواكب الدرية في السيرة النورية، تقي الدين أبو بكر بن أحمد قاضي شهبه، تحقيق د.محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.

ب- المراجع

١)ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار، عبد العزيز الأهواني مطبعة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٢م

٢)أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي. د.عبد القادر مرعي الخليل، مؤسسة رام للتكنولوجيا، مؤته. ١٩٩٥م.)

٣)الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خيرالدين الزّركلي، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ١٩٨٤م

٤)الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء ٥٧٩هـ-٦٥٨هـ د.أحمد فوزي الهيب،مكتبة المعلا- الكويت.الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

٥)حركات التجديد في الأدب العربي.د.عبد العزيز الأهواني دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٥م.

٦)الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام (٤٩٢هـ-٦٩٢هـ) د. أحمد أحمد بدوي. (دون تاريخ) دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

٧)الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري د. شفيق محمد الرقب، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ١٩٩٣م.